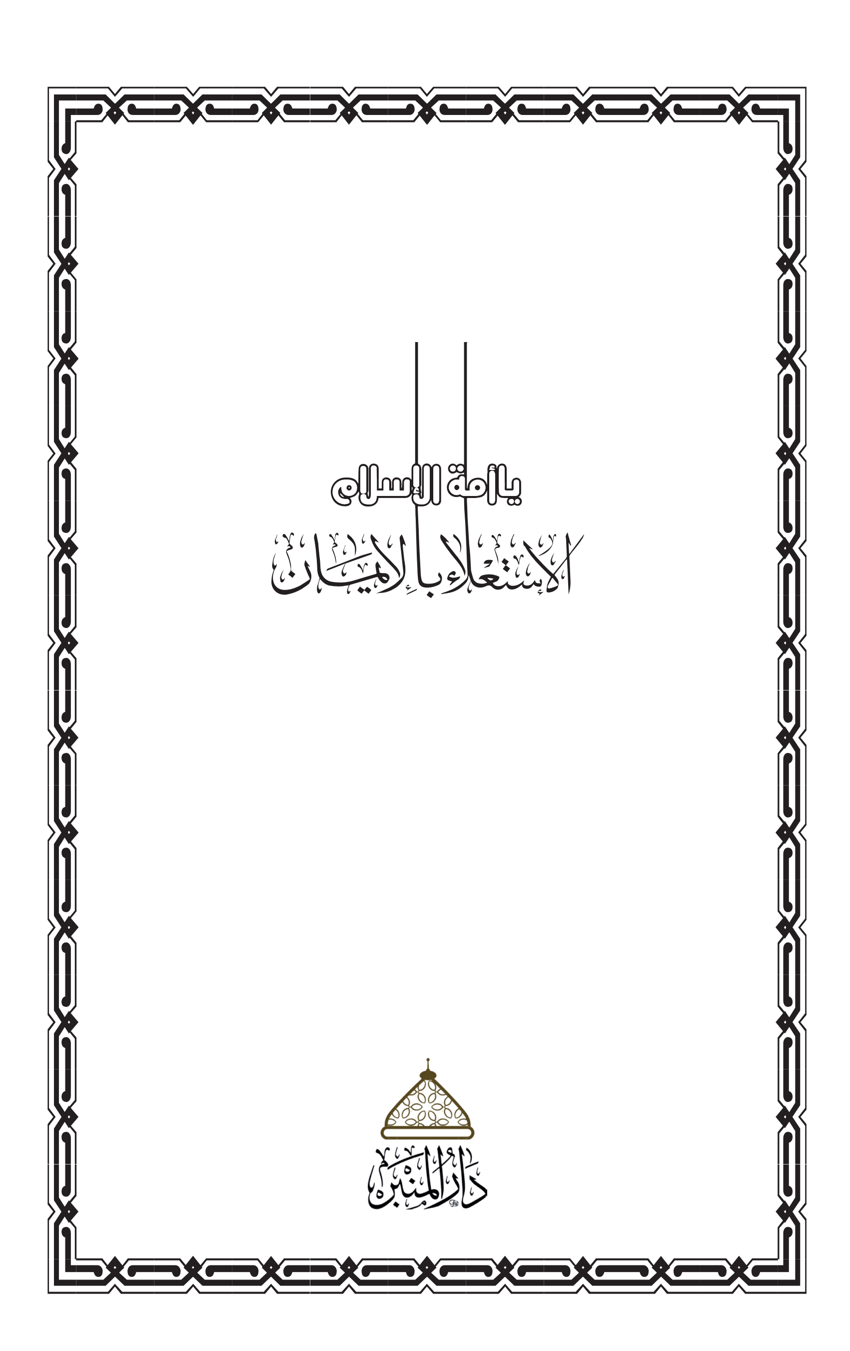
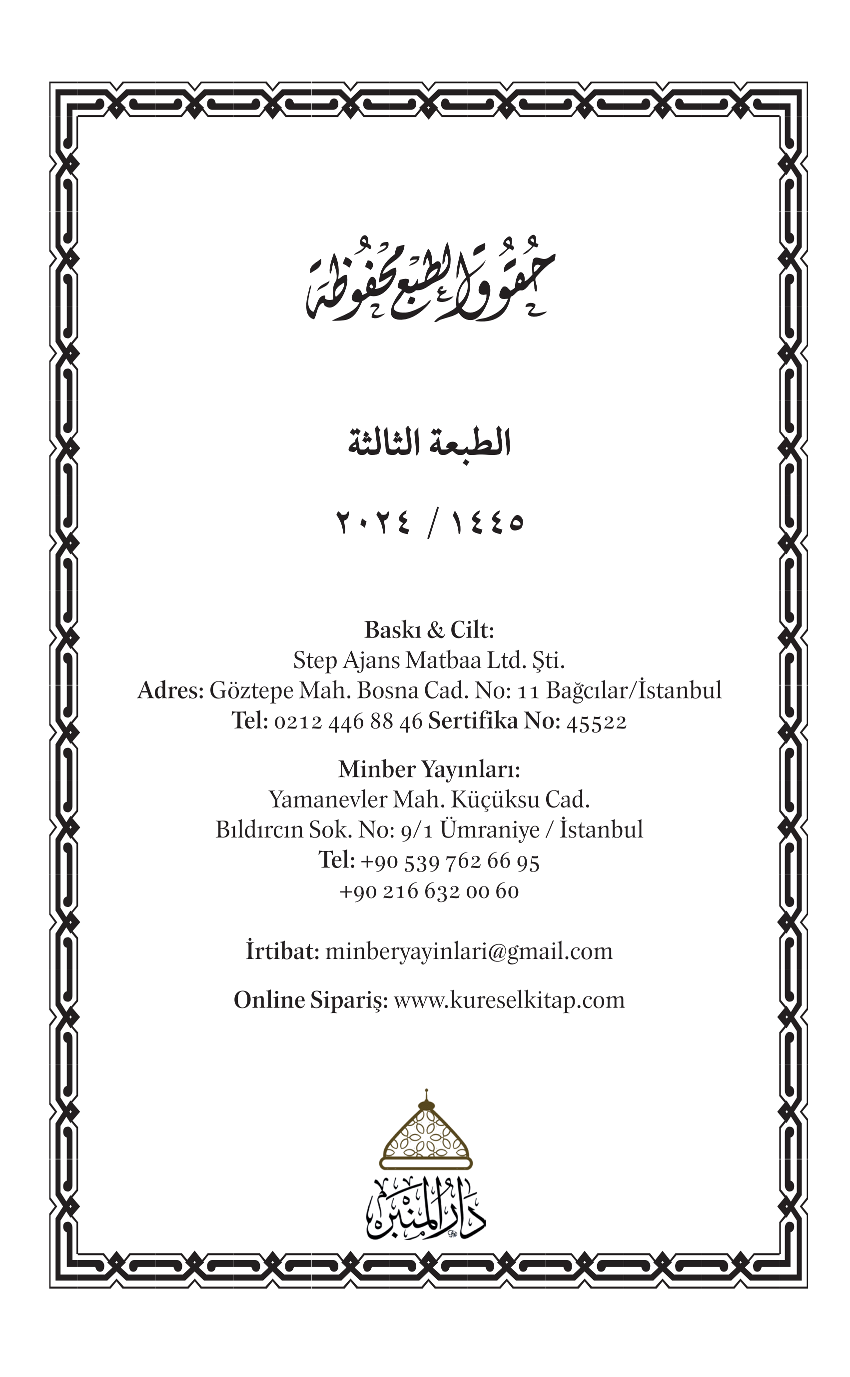

يا أمة الإسلام
الاستعلاء بالإيمان
دار المنبر



الطبعة الثالثة

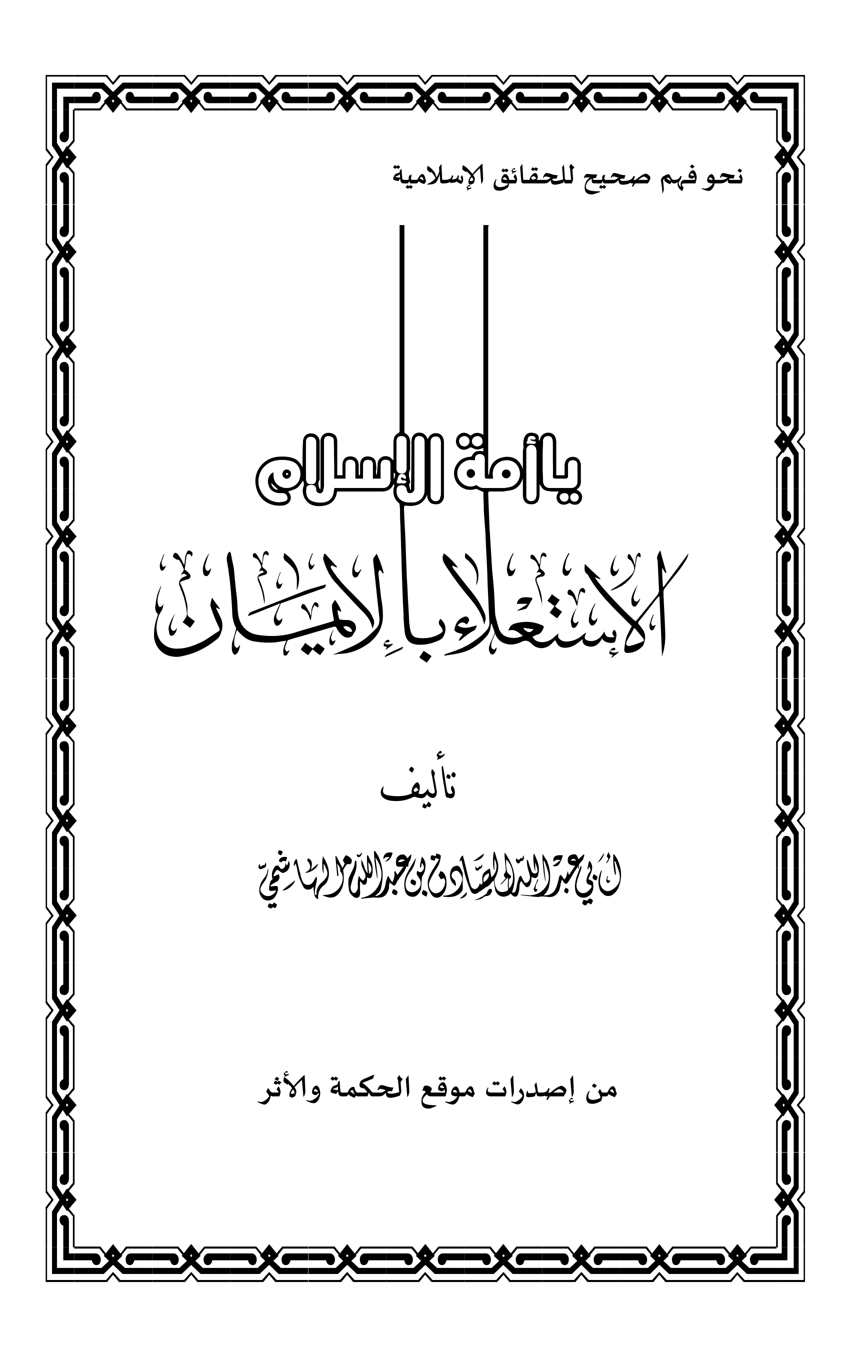
١٤٤٥ / ٢٠٢٤

Baskı & Cilt:
Step Ajans Matbaa Ltd. Şti.
Adres: Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar/İstanbul
Tel: 0212 446 88 46 **Sertifika No:** 45522

Minber Yayınları:
Yamanevler Mah. Küçüksu Cad.
Bıldırcın Sok. No: 9/1 Ümraniye / İstanbul
Tel: +90 539 762 66 95
+90 216 632 00 60

İrtibat: minberyayinlari@gmail.com

Online Sipariş: www.kureselkitap.com



نحو فهم صحيح للحقائق الإسلامية

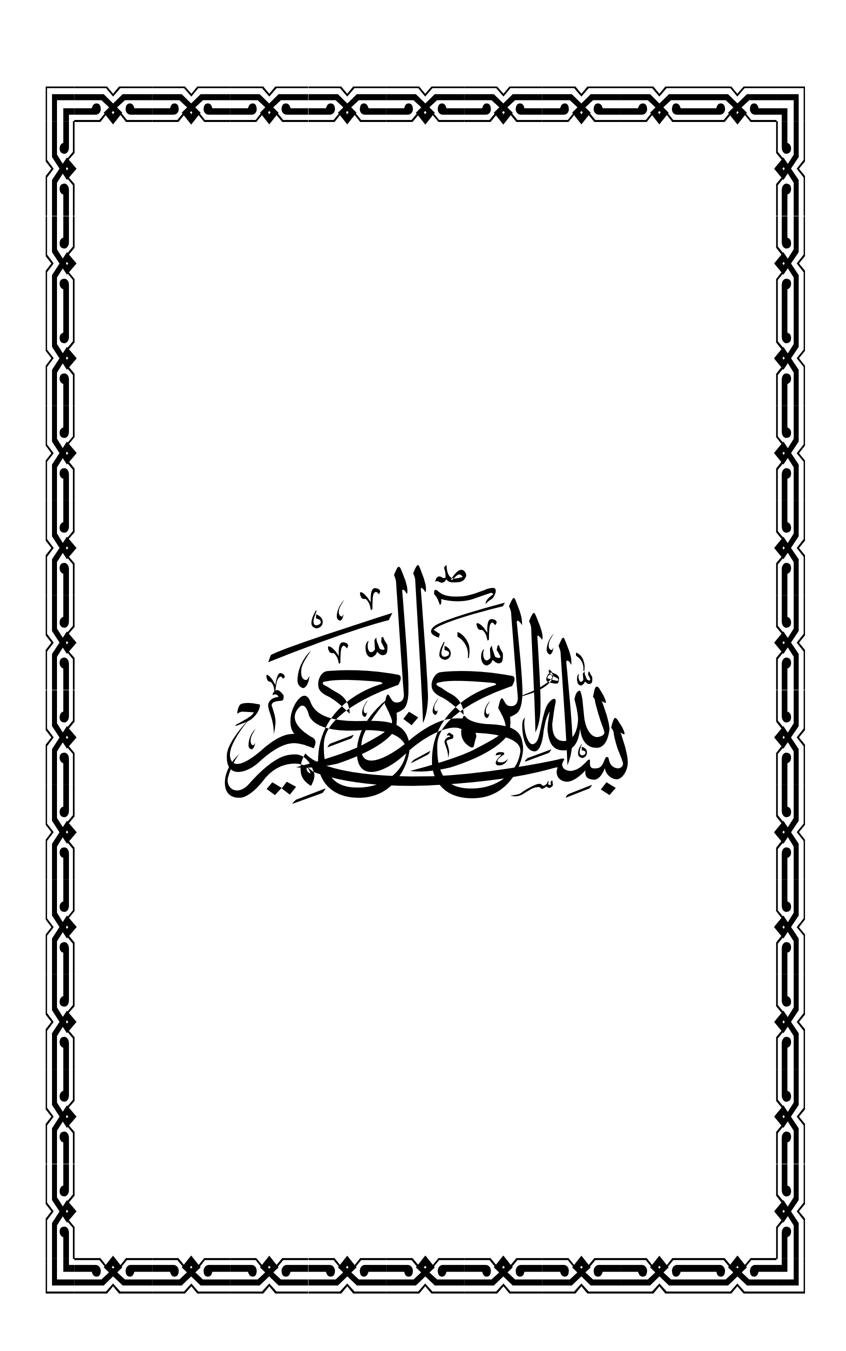
يا أمة الإسلام

الاستعلاء بالإيمان

تأليف

لأبي عبد الله الصادق بن عبد الله الهاشمي

من إصدرات موقع الحكمة والأثر


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

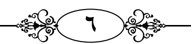
أخي المسلم الكريم...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فيقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ [التوبة: ٧١].

عباد الله! معاشر المسلمين والمسلمات! إن من أهم الأمور التي يجب علىٰ المسلمين أن يتواصوا بها فيما بينهم، وأن يشد بعضهم أزر بعض فيها، هو الفهم الحقيقي لمعاني الإسلام، ومبانيه العظام؛ فإن الغياب الذي يعيشه بعض المسلمين اليوم عن حقائق هذا الدين العظيم؛ لهو السبب الرئيسي وراء كثير مما تراه من الانهزامية، وتقلب الأحوال، وضياع المبادئ، والخنوع للأعداء، والركون إليهم نبحث عن هويتنا، ومكانتنا بينهم.



لقد ذاقت هذه الأمة - في هذا العقد بالذات- كثيرًا من الويلات، والذل، والصغار، الذي كان الأولىٰ به أعداء الله تبارك وتعالىٰ؛ وذلك بسبب ابتعادها عن صراط الله المستقيم، وسنة نبيه الكريم ﷺ، وفهم هذا الدين العظيم؛ ولهذا فإن الله جل وعلا أمر هذه الأمة بالفهم الحقيقي لكتابه العزيز، وسنة نبيه ﷺ، وبين أن المخرج الحقيقي الذي لا محيد عنه ولا مناص؛ هو في تنزيل هذا الإسلام علىٰ واقع الحياة لكي يكون واقعًا فعالًا، إسلامًا يدخل مع الإنسان في كل لحظات حياته، لا انفصال، ولا انفصام، ولا انهزامية، فإن العزَّ -كلَّ العزِّ- في تطبيق تعاليم هذا الشرع العظيم، ولنتأمل في هذه الآيات لنفقه حقيقة المسألة، وخطورة الأمر.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الإسراء: ٤١].

قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ

أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٤ - ٢٨].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

ولنعلم جميعًا أننا مهما لجأنا إلىٰ الشرق أو الغرب؛ نبحث عن عزنا بخطًىٰ متعثرة، وقلوب خاوية؛ فإن النتيجة هي الهلاك والذل والخسران المبين ولابد؛ فهذه سنة الله في الأولين والآخرين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [النحل: ٩٤، ٩٥].

وقال ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

ولقد بين الله ﷻ في كتابه العزيز أن هذا الإسلام يعلو، ولا يُعلىٰ عليه، وفي الحديث: «**الإسلام يعلو ولا يعلىٰ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا غير معزو، وقال الحافظ في «الفتح»: «كذا في جميع نسخ البخاري لم يعين القائل، وكنت أظن أنه معطوف علىٰ قول ابن عباس =

قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

[التوبة:٣٢، ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨].

ولكن متىٰ يتحقق ذلك؟.

إذا وجدنا لهذا الإسلام رجالًا يحملونه، ويعونه، ويتدبرون فيه، ويعرفون حدود ما أنزل الله ﷻ علىٰ نبيه ﷺ، فيا له من دين عظيم لو أنه وجد رجالًا يحملونه؛ عندها فقط نَعِزُّ بالإسلام، ونرفع رءوسنا شامخة مهما احلولكت الأحوال، وأظلمت واشتدت، وتأزمت الأوضاع؛ فإننا علىٰ وعد من الذي وعده حاصل متحقق لا محالة؛ الله ربِّ العالمين.

فالمسلم لابد له أن يستعلي بإسلامه، وأن يعيش عزيزًا بإيمانه؛ لأنه لا كسائر الناس، فهو حامل لأمانة الله جل وعلا علىٰ أرضه تلك الأمانة

= فيكون من كلامه، ثم لم أجده من كلامه بعد التتبع الكثير، ورأيته موصولًا مرفوعًا من حديث غيره أخرجه الدارقطني، ومحمد بن هارون الروياني في «مسنده» من حديث عائذ بن عمرو المزني بسند حسن، ورويناه في «فوائد أبي يعلىٰ الخليلي» من هذا الوجه وزاد في أوله قصة، وهي أن عائذ بن عمرو جاء يوم الفتح مع أبي سفيان بن حرب، فقال الصحابة: هذا أبو سفيان وعائذ بن عمرو، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا عائذ بن عمرو وأبو سفيان، الإسلام أعز من ذلك، الإسلام يعلو ولا يعلىٰ**». اهـ.

التي عرضها الله سبحانه وتعالى على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

هذا الإنسان الظالم الجاهل لم ولن يستطيع أن يحمل هذه الأمانة، حتى يتخلص من هذا الظلم، وذلك الجهل، ولا مجال لذلك، ولا سبيل إليه إلا بوعي حقيقي للإسلام، وفهم لمعانيه، ومبانيه العظام، بعلم صحيح، وبصيرة نافذة، وعمل صالح على سبيل المؤمنين، الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

فالمسلم الحق هو الذي يحمل أمانة الله جل وعلا على هذه الأرض، وهو الذي حقيقة سخر له الكون كله؛ ليخدمه ويقوم بمراداته، إذ هو الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات بهذا الإسلام، وبهذا الدين العظيم(١) كما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن من هؤلاء الناس من هم شر عند الله جل وعلا من الدواب فقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم

(١) ولمزيد من التعرف على حقيقة هذه الأمانة راجع كتابي: «الإنسان والأمانة الكبرى».



مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

إذن لابد لنا -معاشر المسلمين- أن نستعلي بإسلامنا، وأن نظهر بإيماننا، علىٰ حد قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وحتىٰ لا تضيع عزة المؤمن في زحمة الأحداث، وتسلط الباطل هنا وهناك؛ كان لزامًا علينا أن نتذكر تلك المقومات الكبار التي خصنا الله تبارك وتعالىٰ بها، والتي تجعلنا أهلًا للعلو، والاعتزاز بالإيمان فإن العزة لله جميعًا، ومتىٰ ما فهمنا هذه المقومات العظيمة، وعملنا بمقتضاها؛ تحققت فينا حقيقة الإيمان، وأصبحنا بحق خير أمة أخرجت للناس.

وسنذكر -إن شاء الله تعالىٰ- جملة من الأمور التي تعيننا علىٰ فهم حقائق الإسلام، والاستعلاء بالإيمان، ورفع الرأس شامخًا به بين الأنام، وهي في الحقيقة أمور كثيرة، ولكننا سنذكر منها ثمانية أمور عليها المعوَّل، وهي المحك الرئيسي، وعليها تدور رحىٰ عزة المسلم، واستعلائه بالإيمان، وهي من أبرز سمات المسلم الشامخ بإسلامه الذي يرفع رأسه معتزًّا بإسلامه مستعليًا بإيمانه، فيما يظهر لي، والله أعلم.

فأقول وبالله التوفيق:



الطريق
إلى الاستعلاء بالإيمان



أولًا
وحدانيةُ الله جل وعلا وصمدِيتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

إن من أعظم الأمور التي تدعونا -معاشر المسلمين والمسلمات- إلىٰ الشعور بالعز، والفرح، والاستعلاء بالإيمان؛ كوننا نعبد ربًّا واحدًا أحدًا، فردًا صمدًا، بيده مقاليد الأمور، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].

وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٨].

وقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ

ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٣].

فهو مالك الملك، وهو المتصرف في الخلق بما شاء، كيف شاء، متىٰ شاء، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ، فهو الكاملُ الكمالَ المطلق، وهو العلي الكبير، وهو الذي علىٰ كل شيء قدير، فهو الحي القيوم، وهو القائم علىٰ كل نفس بما كسبت، وسع كرسيه السموات والأرض، فهو الكبير المتعال.

فحري بمن عبد ربًّا هذه صفته، وعظمته وقدرته؛ أن يستشعر العزة، والرفعة، والاستعلاء بهذا الرب العظيم تبارك وتعالىٰ، وجدير بهذا العبد أن يذهب عنه كل خوف، وتعظيم للمخلوق، كيف لا والله هو القاهر فوق عباده، وهو الغني عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، فسبحان من لا غنًىٰ لشيء عنه، ولابد لكل شيء منه تبارك وتعالىٰ جل الله في علاه؟!، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس: ٦٥، ٦٦].

وقال جل وعلا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ

ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

فهو سبحانه العزيز، فمن أراد العزة، فعليه بالتقرب والتذلل لهذا العزيز تبارك وتعالىٰ؛ حتىٰ يُعِزَّه العزيز، ولهذا أخبر سبحانه في معرض رده علىٰ المنافقين وأمثالهم الذين يظنون أن العزة في كثرة عرض الحياة الدنيا، وحطامها الزائل الفاني من مال، وجاه، وسلطان، ونحو ذلك، أخبر ﷻ أن العزة لا تكون إلا لمن اتبع شرعه وعَبَدَهُ، وأفرده بالحب والذل له دونما سواه، حتىٰ لا يقدم علىٰ محبته ﷻ أي محبوب، ولا يذل لغيره وينقاد، حالة كونه تاركا الذل لله والانقياد له ﷻ، ويظهر ذلك جليًّا عند معاقد الخصومات والتنازع، بين حظوظ النفس وشهواتها، مع أوامر الله تبارك وتعالىٰ ومراده من عباده.

ويأتي علىٰ رأس هؤلاء الأنبياء، والمرسلون ثم أتباعهم من المؤمنين، فهم أهل العزة الحقة، كما قال ﷻ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا

يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٧، ٨].

فالعز كل العز والشرف -كل الشرف- هو في الرضا بالله تعالىٰ ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا مُصَدَّقًا، وإمامًا متبعًا، وقائدًا إلىٰ رضوان الله تعالىٰ وجنته؛ ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من بحث عن العزة عند غيره، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنما يجري وراء سراب، وأن مصيره إلىٰ ذل وخسران، وبوار في الدنيا، والدار الآخرة، فقال عز من قائل عليمًا: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

وإن أكثر الناس استشعارًا لهذه العزة أعرفهم بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا كان الأنبياء والمرسلون أكثر الناس عزةً وقوةً في الحق؛ فهم أعرف الناس بالله جل وعلا وبأسمائه، وصفاته، فمن كان بالله أعرف كان به أعز وأرفع، وله أذل وأطوع، ومنه جل وعلا أخوف، وله أتقىٰ، ثم صحابتهم رضوان الله عليهم، وأتباعهم علىٰ الحق إلىٰ يوم الدين، فكل يحصل له من العزة والرفعة بحسب معرفته لله جل وعلا، ومعاملته بأسمائه، وصفاته بما هو أهله تبارك وتعالىٰ، فتمتلئ القلوب حبًّا، وتعظيمًا له، وإجلالًا، وتوكلًا عليه تبارك وتعالىٰ؛ مما يورث القلب عزًّا، وثباتًا علىٰ المبادئ، واستعلاءً بالإيمان، وثقةً بالله جل وعلا.

ولهذا انظر إلىٰ أثر اسم الله الصمد لمن عرفه، وحققه، وعمل به في

واقع الحياة كيف أنه يَتَوَجَّهُ بكليته إلىٰ هذا الصمد العظيم؟!، وكيف أنه لا يبالي ولا يخاف في الله لومة لائم؟!؛ لأنه التجأ إلىٰ الصمد الذي يُصْمَدُ إليه في النوازل والحاجات.

كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٩-٥٣].

فهو الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾.

قال أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصمد: الذي لا يلد ولا يولد؛ لأنه ليس شيء إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا يورث».

وقال علي وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **وأبو وائل شقيق بن سلمة، وسفيان:** «الصمد: هو السيد الذي قد انتهىٰ سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد».

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنه: المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد».

وقال السدي: «إنه: المقصود في الرغائب، والمستعان به في المصائب».

وقال الحسين بن الفضل: «إنه: الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد».

وقال مقاتل: «إنه: الكامل الذي لا عيب فيه»(١).

وتأمل أيها المسلم -المستعلي بإيمانه المعتز بربه- عظيم أثر هذه الأسماء، وتلك الصفات للعزيز الحكيم العظيم ﷻ، وكيف أنها تقلب كيان الإنسان وتكسبه عزةً بعد ذلة، وقوةً بعد ضعف، وثباتًا بعد تذبذب، وأمنًا بعد خوف؟!، فكيف لو عامل العبد ربه بجميع أسمائه وصفاته؟!، كيف سيكون حاله؟!، وإلىٰ أي حد ستصل عزته وقوته وثباته علىٰ الحق؟.

فمن عرف حقيقة الخالق، وعظمته، وقوته، وقهره، وقدرته؛ عرف حقيقة المخلوق، وضعفه، وذله، وقلة حيلته، وتأمل في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ

(١) راجع لهذه الأقوال وغيرها تفسير القرطبي، وكذا تفسير ابن جرير الطبري إمام المفسرين، فقد جمع الأقوال في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾.



مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾﴾

[فاطر: ١٣ – ١٧].

وتأمل في حال الأنبياء كيف لما عرفوا عظمة الله وقدرته، وعاملوه بما هو أهله؛ تصاغروا كل طاغية ومتجبر؛ لأنهم توكلوا علىٰ الحي الذي لا يموت، الذي بيده مقاليد كل شيء، وهو علىٰ كل شيء قدير تبارك وتعالىٰ، وتحملوا في سبيل مرضاته كل شيء؛ لعظيم حبهم لله جل وعلا، ولعلمهم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

فهذا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام يقوم في وجه الطغاة وحده، ويشهر في وجوههم سيف التوحيد، ويقارعهم بالحجة والبيان متغافلًا عن كل ما يملكونه من العَدَدِ والعُدَد، التي يمكن أن يواجهوه بها؛ لأنه توكل علىٰ الله الواحد الأحد الصمد جل جلاله.

حتىٰ إنهم أجمعوا علىٰ قتله تحريقًا بالنار؛ جزاءً علىٰ تجرئه عليهم، وعلىٰ آلهتهم الباطلة؛ فما تضعضع، وما تردد، وما نكل عن دعوته، بل مضىٰ صابرًا محتسبًا متوكلًا علىٰ الله، مضىٰ دون أن تؤثر فيه هذه المحنة، ودون أن تحرك فيه شعرةً من جسده، فالمبادئ الحقة، وعقائد الإيمان

الراسخة، لا يمكن أن تُصادَر بالتهديد والإرهاب، ولا بالسجون، والمعتقلات، فما كان منه ﷺ إلا أن قابل كيدهم، ومكرهم بحسن الالتجاء إلىٰ الله رب العالمين، ومن توكل علىٰ الله كفاه؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»؛ فأنجاه الله رب العالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٢].

عجبًا! رجل وحده يقوم لله رب العالمين؛ فيحطم الأصنام، والأوثان ويُبْقِي كبيرهم ويضع الفأس علىٰ رأسه، فيأتون إليه يزفون ويسألونه - من فعل هذا - بآلهتنا يا إبراهيم؟، فيجيبهم بكل ثقة واعتزاز، لا بخور وجبن، وتنصل وابتعاد عن مواجهة الأعداء: قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣]. نعم إنها حجة آتاها الله إبراهيم ﷺ، لكي يدمغ بها القوم ثقة منه بنصر الله تعالىٰ وتمكينه، وصدعًا بالحق، وإنه إذا جاء الحق زهق الباطل، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨].

ولما أرادوا به كيدًا جمعوا له نارًا عظيمة، حتىٰ إن المرأة إذا غضبت علىٰ ابنها أقسمت أن تلقي حطبًا في نار إبراهيم، حتىٰ أضرموا نارًا عظيمة، حتىٰ قيل في ذلك: إن الطائر إذا مرَّ من فوقها نزل مشويًّا؛ لعظمة تلك النار،



وشدة لهبها، فأتوا بإبراهيم عليه السلام، وأوثقوه، وأحكموا وثاقه، وأَلْقَوْهُ في النار(١)، فما كان من إبراهيم عليه السلام الواثق من نصر الله تعالىٰ إلا أن قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي: كافينا الله جل وعلا، هو وحده يكفينا شر الأشرار وكيد الفجار؛ فنجاه الله سبحانه وتعالى من تلك النار، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، بردًا حتىٰ لا تؤذيه النار بحرها، وسلامًا حتىٰ لا يؤذيه البرد ببرودته.

وهكذا انقلبت حقيقة النار من صفة الإحراق لكي تكون بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم. الله أكبر! الله أكبر!

وهذا نوح -عليه الصلاة والسلام- لما هدده قومه قال الله مبينًا عظيم ثباته، وعزته، واستعلائه بإيمانه بالله رب العالمين: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ

---

(١) وبهذه المناسبة لابد أن ننبه علىٰ قصة إسرائيلية منكرة لا تصح انتشرت بين الناس وهي: «أن جبريل عليه السلام عرض لإبراهيم وهو بين السماء والأرض وقال: ألك إليَّ حاجة فقال: أما إليك فلا، أما إلىٰ الله فنعم». هذه القصة باطلة ولا تصح، والصحيح ما جاء في «صحيح البخاري» من حديث أبي معبد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها: إبراهيم عندما ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم عندما قيل له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾».

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧١-٧٣].

وهذا هود عليه السلام يقص الله علينا ثباته، واعتزازه بدينه، وقوته في الحق، وصدق توكله على ربه تبارك وتعالى، وكيف أن الله تعالى جعل أعداءه هم الأسفلين الأخسرين؛ فقال جل وعلا: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: ٥٣-٦٠].

وهذا موسى عليه السلام كليم الرحمن يتحدى أقوى طاغية في زمانه فرعون -لعنه الله-؛ فيقوم أمامه ويكلمه بلغة الواثق من ربه تبارك وتعالى المستعلي بإيمانه، ويقيم عليه الحجة أمام الملأ من قومه، في صبر ويقين، وثبات عظيم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾﴾ [الإسراء: ١٠١-١٠٣].

حتىٰ خرج الطاغية في أثره، وخرج موسىٰ عليه السلام بقومه ناحية البحر حيث أمره ربه، وهناك أظهر موسىٰ عليه السلام من الثبات وحسن الالتجاء والتوكل علىٰ الله رب العالمين ما يعجز قلمي عن وصفه ويكفي ما قاله الله تعالىٰ في محكم التنزيل: ﴿۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٥٢-٦٨].

نعم هكذا يكون التوكل العظيم، والعزة بالله رب العالمين، نعم قالها مدوية، لتحرق سائر الطواغيت وتجلجل في أسماع المنهزمين: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ فكان النصر، وجاء الفرج من قريب فلله الحمد والمنة.

أما رسولنا محمد ﷺ فلو ذهبنا نسرد المواقف فقط سردًا بدون تعليق لبيان عظيم توكله علىٰ الله تعالىٰ، والتجائه إليه لما فرغنا من ذلك إلا بمجلدات يطول لذكرها المقام، وحسبنا من ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس حيث قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]».

ومنها ما في «الصحيحين» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «**يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ**»، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ**». قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢﴾.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ عِيَاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ**

فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَنْ يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ. قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ - قَالَ - وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتْبَعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ».

وفي «الصحيحين» عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟. فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ

إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

وفي «صحيح البخاري» عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهْوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ: اللهُ ثَلَاثًا**». وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ.

وأما الصحابة فلقد ضربوا من أروع الأمثلة في الاعتزاز بالله الصمد الواحد الأحد؛ حتىٰ رضي الله عنهم وأرضاهم، ونصرهم، ومَكَّنَ لهم في الأرض، وأثنىٰ عليهم، وامتدحهم في غير ما آية في كتابه العزيز، علىٰ حسن بلائهم في دين الله جل وعلا، وعظيم ثباتهم، واستعلائهم بإيمانهم؛ فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وما أحسن ما قاله شيخنا سليمان العلوان في وصفهم في كتابه «الاستنفار»: «إن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قوم سمحت نفوسهم بالنفس، والمال، والأهل، والدار ففارقوا الأوطان، وهجروا الآباء والإخوان،

وبذلوا النفوس صابرين، وأنفقوا الأموال محتسبين، وناصبوا من ناوأهم متوكلين، فآثروا رضاء الله علىٰ الغناء، والذل علىٰ العز، والغربة علىٰ الوطن وقد اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونصرته، وإقامة دينه، فأخرجوا من شاء الله من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعتها ومن جور أهل الطغيان إلىٰ عدل الإسلام». اهـ.

وفي «مصنف ابن أبي شيبة» بسند جيد عن معقل بن يسار: «أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان في الفارس وأصبهان وأذربيجان فقال: أصبهان الرأس، وفارس وأذربيجان الجناحان؛ فإن قطعت أحد الجناحين مال الرأس بجناح الآخر، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان، فابدأ بالرأس، فدخل المسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي، فقعد إلىٰ جنبه، فلما قضىٰ صلاته قال: ما أراني إلا مستعملك، قال: أما جابيًا فلا، ولكن غازيًا، قال: فإنك غاز، فوجهه وكتب إلىٰ أهل الكوفة أن يمدوه، قال: ومعه الزبير بن العوام وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والأشعث بن قيس.

قال: فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلىٰ ملكهم وهو يقال له: ذو الجناحين، فقطع إليهم نهرهم فقيل لذي الجناحين: إن رسول العرب هاهنا، فشاور أصحابه فقال: ما ترون؟، أقعد له في بهجة الملك وهيئة الملك أو في هيئة الحرب، قالوا: لا، بل اقعد له في بهجة الملك، فقعد علىٰ سريره ووضع التاج علىٰ رأسه، وقعد أبناء الملوك سماطين، عليهم القرطة وأساور الذهب والديباج.

قال: فأذن للمغيرة فأخذ بضبعه رجلان ومعه رمحه وسيفه، قال: فجعل يطعن برمحه في بسطهم يخرقها ليتطيروا حتىٰ قام بين يديه، قال: فجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما: إنكم معشر العرب أصابكم جوع وجهد فجئتم، فإن شئتم مِرْناكم ورجعتم، قال: فتكلم المغيرة بن شعبة فحمد لله وأثنىٰ عليه ثم قال: إنا معشر العرب كنا أذلة يطئونا ولا نطؤهم، ونأكل الكلاب والجيفة، وأن الله ابتعث منا نبيًّا في شرف منا، أوسطنا حسبًا وأصدقنا حديثًا، قال: فبعث النبي ﷺ بما بعثه به، فأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال، وأنه وعدنا فيما وعدنا أنا سنملك ما هاهنا ونغلب، وأني أرىٰ هاهنا بزة وهيئة ما من خلفي بتاركها حتىٰ يصيبها، قال: فقالت لي نفسي: لو جمعت جراميزك فوثبت فقعدت مع العلج علىٰ سريره حتىٰ يتطير، قال: فوثبت وثبة، فإذا أنا معه علىٰ سريره، فجعلوا يطئوني بأرجلهم ويجروني بأيديهم فقلت: إنا لا نفعل هذا برسلكم، فإن كنت عجزت أو استحمقت فلا تؤاخذوني، فإن الرسل لا يفعل بهم هذا، فقال الملك: إن شئتم قطعنا إليكم وإن شئتم قطعتم إلينا، فقلت: لا بل نحن نقطع إليكم.

قال: فقطعنا إليهم فسلسلوا كل خمسة وسبعة وستة وعشرة في سلسلة حتىٰ لا يفروا، فعبرنا إليهم فصافقناهم فرشقونا حتىٰ أسرعوا فينا، فقال المغيرة للنعمان: إنه قد أسرع في الناس قد خرجوا قد أسرع فيهم، فلو حملت؟. قال النعمان: إنك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله ﷺ، ولكن شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتىٰ

تزول الشمس وتهب الرياح وتنزل النصر، ثم قال: إني هاز لوائي ثلاث هزات، فأما أول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ، وأما الثانية فلينظر الرجل إلىٰ شسعه ورم من سلاحه، فإذا هززت الثالثة فاحملوا، ولا يلوين أحد علىٰ أحد، وإن قتل النعمان فلا يلوين عليه أحد، وإني داعي الله بدعوة فأقسمت علىٰ كل امرئ مسلم لما أمن عليها، فقال: اللهم ارزق النعمان اليوم الشهادة في نصر وفتح عليهم، قال: فأمن القوم.

وهز لواءه ثلاث هزات ثم قال: ثُمَّ نَثَلَ دِرْعَهُ ثم حمل وحمل الناس، قال: وكان أول صريع، قال: فأتيت عليه فذكرت عزمته فلم ألو عليه وأعلمت علمًا حتىٰ أعرف مكانه، قال: فجعلنا إذا قتلنا الرجل شغل عنا أصحابه قال: ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه، ففتح الله علىٰ المسلمين.

فأتيت مكان النعمان وبه رمق، فأتيته بأداوة فغسلت عن وجهه فقال: من هذا؟، فقلت: معقل بن يسار، قال: ما فعل الناس؟، قلت: فتح الله عليهم، قال: لله الحمد، اكتبوا ذلك إلىٰ عمر، وفاضت نفسه، واجتمع الناس إلىٰ الأشعث بن قيس، قال: فأرسلوا إلىٰ أم ولده: هل عهد إليك النعمان عهدًا، أم عندك كتاب؟، قالت: سفط فيه كتاب، فأخرجوه فإذا فيه: إن قتل النعمان ففلان، وإن قتل فلان ففلان، قال حماد: قال علي بن زيد: فحدثنا أبو عثمان قال: ذهبت بالبشارة إلىٰ عمر فقال: ما فعل النعمان؟، قلت: قتل، قال: ما فعل فلان؟، قلت: قتل، قال: ما فعل فلان؟، قلت: قتل،

فاسترجع، قلت: وآخرون لا نعلمهم، قال: لا نعلمهم لكن الله يعلمهم».

وهذا ربعي بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدخل علىٰ بلاط رستم الوثير، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرابي والحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس علىٰ سرير من ذهب.

ودخل ربعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بثياب صفيقة، وسيف وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها، حتىٰ داس بها علىٰ طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه، ودرعه، وبيضته علىٰ رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ علىٰ رمحه فوق النمارق؛ فخرق عامتها.

فقالوا له: ما جاء بكم فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعتها ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلىٰ خلقه؛ لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبىٰ قاتلناه أبدًا؛ حتىٰ نفضي إلىٰ موعود الله قالوا: وما موعود الله؟، قال: الجنة لمن مات علىٰ قتال من أبىٰ، والظفر لمن بقي»(١).

الله أكبر هكذا تكون العزة وهكذا يكون الاستعلاء بالإيمان.

---

(١) «البداية والنهاية» المجلد التاسع.



نعم، دخل ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بثيابه الممزقة، نعم، إنهم لا يجدون ما يلبسون، لكن القلوب عامرة بالإيمان، والقلوب مستعلية بلا إله إلا الله، دخل هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ هذا الطاغية؛ فسأله رستم بلغة المستكبر المتعالي، وأنَّىٰ لكافر أن يتعالىٰ أو يستكبر؟!. وأمامه قوة الإيمان وصموده، وكبرياؤه، وعلوه التي لا تهزمها سائر أمم الكفر في مشارق الأرض، ومغاربها.

قال له كسرىٰ: لماذا أتيتم؟، ما الذي جاء بكم؟، ما الذي جعلكم تتطاولون علىٰ كسرىٰ أنوشروان؟، ما الذي جعلكم تفكرون في وطء بلاط رجل كنتم تتمنون أن تنظروا إليه فضلًا عن أن تغزوه، أو تطئوا بلاطه برماحكم.

فأجابه ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلغة المسلم الواثق بالله جل وعلا المستعلي بإيمانه علىٰ كل ما يَعُدُّهُ النَّاسُ من مسلمات العصر، من قوة، وعتاد، وجاه، وسلطان ومال، دون أي خوف أو وجل؛ لماذا؟، لأن في قلبه لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ إنها تيارٌ متىٰ ما سرىٰ في القلوب المؤمنة الصادقة غيرت وجه التاريخ، وقلبت موازين الطغاة في كل مكان.

هكذا عباد الله كان القوم يتكلمون مع قلة ذات اليد، وقلة المال، وقلة العتاد، ونبذ الناس لهم، وتكالب أمم الأرض كلها عليهم، إلا أنهم أعزاء بالإسلام؛ لأنهم يعرفون قيمة الإسلام، ويعرفون حقائق الإسلام،

ويَعُون حقيقة الإيمان الذي وقَرَ في صدورهم، وقام في نفوسهم، إنه الإيمان الكبير، إنهم لا يقاتلون الناس بعدد ولا بعدة، ولا يجاهدون الطواغيت بسلطان، ولا بعتاد، وإنما يجاهدونهم بهذا الدين، به يقاتلون، وبه ينتصرون، وبه يجاهدون، وبه يبددون ظلمات الكفر في مشارق الأرض ومغاربها، إنها «لا إله إلا الله» قوة متىٰ ما تمكنت من قلوب العباد؛ انفتحت بصائرهم، وقويت شوكتهم، وظهرت عزَّتُهم، ولو كانوا أقل القليل، حتىٰ لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها، هكذا تكون عزة المسلم بربه، وبدينه، وهكذا يستشعر المؤمن حقيقة قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩].

عندها يقذف الله الرعب في قلوب الأعداء، ويزلزل عروش الطواغيت والظالمين، والأمثلة علىٰ هذا في واقع الصحابة كثيرة جدًّا، لا يتسع المقام إلىٰ عدها، فضلًا عن سردها، والتعليق عليها، واللبيب بالإشارة يفهم، واقرأ سيرتهم تعرف حالهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومن هنا نعلم لماذا دعا الله عباده إلىٰ تعظيمه ومعرفته؟، وأن العباد أنفسهم هم المستفيدون من ذلك، ليعتزوا، ويستعلوا بكمال معرفتهم بالله رب العالمين، ومعاملته بما هو أهله، فالنفع إلينا عائد؛ أما الله تعالىٰ؛ فإنه هو الغني تبارك وتعالىٰ.

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما روىٰ عن الله تبارك وتعالىٰ أنه قال:



«يا عبادي، إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا.

يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته؛ فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا؛ فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن

وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

[الزمر: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

[نوح: ١٣، ١٤].

ولهذا كان النبي ﷺ يعلم أصحابه معرفة الله عز وجل، ويأمرهم بالتوكل عليه، والالتجاء إليه، وحبه، والتذلل له، ومعرفة قدره، وقدرته، وعظمته جل وعلا، حتىٰ علىٰ مستوىٰ الغلمان منهم؛ لينشأ الغلام علىٰ العزة بالله جل وعلا، وحب الدين، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك، فعن ابنِ عَبّاسٍ رضي الله عنه قال: كُنْتُ خَلْفَ النبيّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يا غُلَامُ، إنّي أُعَلِّمُكَ كِلمَاتٍ: احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تجِدْهُ تجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أَنّ الأُمّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، ولو اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرّوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقلَامُ،**

---

(١) أخرجه مسلم.



وَجَفَّتِ الصُّحُف»(١).

مواقف إيمانية حرجة:

ولنا أن نتأمل أيها المسلمون كيف اضمحلت الحياة الدنيا، وحَقُرَت، في لحظة واحدة، عندما تحرك وازع الإيمان في القلب، لما تحققت بمعرفة الله تعالىٰ وعظمته وكبريائه، وأسمائه وصفاته.

فتعالوا لنتذكر تلك المقامات العلية التي ضرب فيها أصحابها من أروع الأمثلة لتعظيم العبد لربه، واعتزازه بدينه، لما عرف ربه تبارك وتعالىٰ، وكيف انقلبت الأحوال وتبدلت، وكيف تغيرت المواقف، فمن ذلك قصة الفتية أصحاب الكهف، انظر كيف قاموا لربهم تبارك وتعالىٰ، قومة رجل صادق مخلص لله محب عارف به، فهجروا الأوطان وتغربوا في البلدان، فخرجوا لا يلوون علىٰ شيء، لا يريدون إلا أن يهجروا الشرك وأهله، تعظيما لحق الله تبارك وتعالىٰ، وإنكارا علىٰ من تلاعب بحق المولىٰ جل في علاه، كما قال تعالىٰ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٣ – ١٥].

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وكذلك تأمل في حال سحرة فرعون، الذين سقطت الدنيا برمتها في لحظات معدودة تحت أقدامهم، حتىٰ أصبحو لا يرونها شيئًا، بل اختاروا الموت علىٰ الإيمان، علىٰ حياة الكفر والشعوذة والفجور في كنف هذا الطاغية اللعين المارد، انظر كيف آثروا الله تعالىٰ ولقائه، علىٰ ملك فرعون وزخرفه، وعطاياه ووعوده، كل هذا عندما تحرك الإيمان في قلوبهم، إذ عرفوا الحق، فعظموا الرب تبارك وتعالىٰ، فاستعلنوا بإيمانهم واستعلوا به علىٰ بطش فرعون ووعده ووعيده، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٠ – ٧٦].

سبحان الله! ما أعظم هذا التيار الإيماني إذا سرىٰ في القلوب، تأمل عبد الله، كيف كانوا في أول النهار سحرة كفرة فجرة، وفي آخره شهداء متقين بررة.

وهناك في مقام عال رفيع، تلوح قصة تلك المرأة المؤمنة الصابرة، الصادقة البارة، التي شهد لها النبي ﷺ بالكمال، في من عَدَّ ممن كَمُلَ من



النساء، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**».

نعم إنها آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، نعم إنها زوجة عدو الله.

فانظري أختي المسلمة كيف آثرت هذه الصديقة الآخرة الباقية علىٰ هذه الدنيا الفانية، لما عرفت عظمة الله تبارك وتعالىٰ، وكماله وجلاله، جل الله في علاه، فعرفت أنها ما خُلِقَت لزخرف الحياة الدنيا والاغترار به، وعلمت أنه لا يسعها أن تطاوع فرعون اللعين علىٰ كفره وحربه للدين، لتحافظ علىٰ ملكها ومكانتها العظيمة، لأنها علمت أن هذا عرض زائل، وأن الآخرة هي دار القرار، فاختارت أن تكون في خندق الحق مع موسىٰ عليه السلام، حتىٰ هددها الطاغية بالموت، ففضلت الموت علىٰ مطاوعة زوجها الطاغية الملحد الجاحد المعاند المتعالي علىٰ ربه، الذي أوجده وخلقه من العدم ورزقه وآتاه الملك.

وسألت ربها جواره في جنات النعيم، وقدمت في دعائها جوار الله، فاختارت الجار قبل الدار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١].

ولم تقل: (بيتًا في الجنة عندك)، بل قدمت الجوار علىٰ الدار.

وقيل: إنه قتلها الطاغية المجرم، فلم يضرها ذلك، حيث صارت إلىٰ جنات ونهر في مقعد صدق، كما قال تعالي: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

فارجعوا معاشر المسلمين والمسلمات إلىٰ أسماء الله تعالىٰ وصفاته؛ وتَعَرَّفُوا علىٰ الله تعالىٰ، وعاملوه بها؛ لتَرَوا عزًّا لا ذل معه، واستعلاءً لا سفول فيه، وقوةً لا تهزمها جحافل الأعداء، مهما كثرت، ولو اجتمع عليكم من بأقطارها.

فكلما حقق العبد التوحيد، استشعر الأمن والعز، ولو أخافه الناس كلهم، ولو تخلىٰ عنه الناس كلهم؛ فإن ما في صدره من معرفة الله جل وعلا، وتوحيده، والحب، والذل له سبحانه أعظم من الدنيا، وما فيها.

ولسان حاله يقول:

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

لأنه يعلم أن الأقدار بيد مقدر الأقدار الله رب العالمين، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ولهذا لما قيل لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنهم يريدون قتلك قال رضي الله عنه وأرضاه:

من أي يومي من الموت أفر ... يوم لا قدر أم يوم قدر

يوم لا قدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحذرَ

فليكن شعارك أيها المؤمن: أجلي محدد.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ لما قيل له: إنهم اجتمعوا ليمكروا بك أو كلمة نحوها حمل ترابًا ووضعه في راحة يده ثم نفخه فأطاره وقال: هم مثل هذا.

نعم لأنه عرف الله، وعظمته، وقدرته، ومن كان كذلك فكيف يعظم سواه؟، أو يركن إلىٰ غيره؟، جل الله في علاه.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج: ٣٨].

وجاء في تفسير السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾، أي: فهل ينتظر هؤلاء الذين لا يؤمنون بآيات الله، بعد وضوحها، ﴿إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: من الهلاك والعقاب، فإنهم صنعوا كصنيعهم، وسنة الله جارية في الأولين والآخرين.

﴿قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾، فستعلمون من تكون له العاقبة الحسنة، والنجاة في الدنيا والآخرة، **وليست إلا للرسل وأتباعهم.**

ولهذا قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ﴾ من مكاره الدنيا والآخرة، وشدائدهما.

﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا﴾ أوجبناه علىٰ أنفسنا ﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وهذا من دفعه عن المؤمنين، **فإن الله يدافع عن الذين آمنوا فإنه -بحسب ما مع العبد من الإيمان- تحصل له النجاة من المكاره]** ا.هـ.

ولْنَعْلَم جميعًا أن الكفار في المشرق والمغرب، حاولوا جاهدين أن يسدوا خلة في قلوبهم، وفاقة وفقرًا في نفوسهم، يجدونها من جراء كفرهم، وشركهم بالله العظيم، فقلوبهم من الإيمان خاوية، وبالشرك، والكفر عامرة؛ فحياتهم هم وغم، وعناء وشقاء، قلوب خربة، وعقول سقيمة.

ولهذا كان لزامًا أن يذوقوا الذل في الدنيا والآخرة، وهذا كائن لا محالة، إن عاجلًا أو آجلًا، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٧٧].

ولقد بين ﷻ أن الخوف والذل والصغار ملازم للكفر والضلال؛ وأن العز والرفعة، والأمن ملازم لتوحيد الله جل وعلا، والإيمان به، وبرسله كما قال تعالىٰ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١١، ١١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

ولكن المسلم بتوحيده لله جل وعلا، والتجائه إليه ﷻ، وركونه، وفزعه إلىٰ الصمد الواحد القهار عند الشدائد، بل وحال السراء والضراء، وارتباطه بالله ﷻ ارتباطًا وثيقًا عبر التقوىٰ، سد هذه الخلة، وتلك الفاقة، التي عندما ضل عنها الشرق والغرب؛ جمع حطام الدنيا، وظن السعادة فيها، ثم يصعد أحدهم علىٰ رأس عمارة شامخة؛ ليلقي بنفسه، مزهقًا لحياته، وقاضيًا عليها؛ لأنه لم يجد تلك السعادة، لم يجد ما يسد به ذلك الفراغ في ذلك القلب، لكن المسلم سدها بتوحيده لله الواحد القهار كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فالمسلم مستعل علىٰ سائر الخلائق، وعلىٰ سائر أمم الكفر في الشرق والغرب، بأن مرجعه إلىٰ الله الواحد القهار، ومفزعه إلىٰ الله، الصمد، الواحد، الديان؛ فإذا احلولكت به الأمور، واشتد به الخطب، وتأزمت في وجهه الأمور، كان مفزعه إلىٰ الله الواحد القهار؛ فيجد المخرج ويجيء الفرج من الله رب العالمين؛ فنعم المولىٰ، ونعم النصير ﷻ.

وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله ﷻ، فإذا صار شعار القلب، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة،

ويفني الفاقة؛ فيكون صاحبه غنيًّا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلًا عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فهو بضد ذلك، فقيرٌ مع كثرة جدته، ذليلٌ مع سلطانه، حقيرٌ مع كثرة عشيرته»[1]. اهـ.

فعلىٰ كل واحد منا أن يتذكر هذه الحقيقة العظمىٰ أنه يعبد الله الواحد، الأحد، الصمد جل وعلا.

وما أحسن ما قال الشاعر:

إذا انقطعت أطماع عبد عن الورىٰ تعلق بالرب الكريم رجاؤهُ
فأصبح حرًّا عزةً وكرامةً علىٰ وجهه أنواره وضياؤهُ
وإن علقت بالخلق أطماع نفسه تباعد ما يرجو وطال عناؤهُ
فلا ترجُ إلا الله في الكرب وحده وإن صح في خل الصفاء صفاؤهُ

والأمر كما قيل: إن كان الله معك فمن تخاف؟!، وإن كان الله عليك فمن ترجو؟!.

حقيقة هامة عظيمة:

ولكن علينا أن نَعِيَ وَعْيًا تاما جيدا، أن لله تعالىٰ سننًا كونية، وأخرىٰ شرعية، وأن علينا أن نتعامل مع السنن الكونية بالسنن الشرعية، لنتخذ المواقف الصائبة في الوقت المناسب، فإن سنن الله تعالىٰ لا تحابي أحدًا،

(١) «الوابل الصيب» (ص ٩١).



بل تجري علىٰ ما أراد الله تبارك وتعالىٰ وقدر.

ولنتذكر ما جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**».

وفيه أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا**».

فالعنتريات الجوفاء، **وإحراق المراحل**، لا محل لها في هذا الطريق الحق، طريق محمد ﷺ وأصحابه الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

بل علينا أن نسلكه كما سلكوه، وإن طال بنا الزمان أو قصر، وعلينا ألا نتعجل قطف الثمرة قبل نضجها، وعلينا ألا نسلك إلىٰ الغايات الحميدة الطرق المعوجة، والتأويلات السقيمة، والتصورات الفاسدة، وإلا كانت الهلكة عياذًا بالله، فإننا متعبدون بالغايات كما أننا متعبدون بالوسائل، لا كما تقول اليهود: الغاية تبرر الوسيلة، فمن لم يهتد لهذا الأمر الجلل، وقع في مسالك أهل البدع، من الخوارج والغلاة وغيرهم، ممن يقولون بخير قول البرية، لكنهم لما فسدت تصوراتهم وساءت فهومهم، وأحسنوا الظن بأنفسهم، وأساؤوا الظن بالشرع وسبيل المؤمنين؛ ضلوا وأضلوا وهلكوا.

كما جاء في «الصحيحين»، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

ولهذا قال فيهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما رواه مسلم في «صحيحه» عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالُوا: **لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ**. قَالَ عَلِيٌّ: «**كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ**»، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَفَ نَاسًا إِنِّي لأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ: «**يَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لا يَجُوزُ هَذَا مِنْهُمْ -وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقِهِ- مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، مِنْهُمْ أَسْوَدُ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ طُبْيُ شَاةٍ أَوْ حَلَمَةُ ثَدْيٍ**». فَلَمَّا قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْظُرُوا. فَنَظَرُوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَجَدُوهُ فِي خَرِبَةٍ، فَأَتَوْا بِهِ حَتَّىٰ وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. ا.هـ.

قلت: الحرورية هم الخوارج، نسبة إلىٰ حروراء بلدة ظهروا فيها فنسبوا إليها.

وفي «صحيح البخاري» من طريق عَمْرٍو عَنْ مُصْعَبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣﴾ هُمُ الْحَرُورِيَّةُ؟، قَالَ: لَا هُمُ الْيَهُودُ



وَالنَّصَارَىٰ، أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَمَّا النَّصَارَىٰ كَفَرُوا بِالْجَنَّةِ، وَقَالُوا: لَا طَعَامَ فِيهَا، وَلَا شَرَابَ، **وَالْحَرُورِيَّةُ: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَكَانَ سَعْدٌ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ.**

قلت: سعد هنا هو سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فعلينا أن نضع الأمور مواضعها، والأحداث في أماكنها المناسبة من الشرع، علىٰ سبيل محمَّد ﷺ وأصحابه الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فلا نحمل الأمة ما لا تطيق، بأن نأخذها بأدلة القوة والتمكين، وهي لا تزال في حال الضعف وقلة الحال، بل نعاملها بما يناسب حالها، وفقًا لهدي النبي ﷺ وأصحابه الكرام، فإن وضع السيف موضع الندىٰ والعكس هلكة وفتنة.

كما قال الشاعر:

وَوَضْعُ النَّدىٰ في مَوْضِعِ السَّيفِ بالعُلىٰ
مضرٌّ كوضْعِ السيفِ في موضعِ النَّدىٰ

فلا نكون كحال المنبطحين المخذلين، ولا كحال المنافقين المرجفين في المدينة، وكذلك لا نكون كحال الخوارج والغلاة، بل كما قال النبي ﷺ: «**والقصد القصد تبلغوا**».

وهنا نتذكر ما جاء في «صحيح الإمام مسلم» عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ

ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَىٰ رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ **مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ**، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟، قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**». فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**». فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**». قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَىٰ هَذَا؟، قَالَ: «**حُرٌّ وَعَبْدٌ**». قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ. فَقُلْتُ: **إِنِّي مُتَّبِعُكَ**. قَالَ: «**إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلَا تَرَىٰ حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**». قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَىٰ أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ. فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟، قَالَ: «**نَعَمْ أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ**». قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَىٰ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ...،الحديث.

فتأمل كيف أن النبي ﷺ رَدَّ هذا الصحابي الجليل، الذي أراد المتابعة والنصرة، فقال له النبي ﷺ: «**إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلَا تَرَىٰ حَالِيَ وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**».

وذلك لأن النبي ﷺ أراد أن يعلم أمته التُّؤَدَةَ في الأمر، والرَّوِيَّةَ في التعامل مع المراحل والأحداث، وإلا فهو أشجع الناس، وأكثرهم إقدامًا ﷺ، لكن الأمور لا تؤخذ هكذا غلابا، بِلا إعداد عدة، ولا استصحاب واقع الحال، وبِلا نظر في معالجة السنن الكونية بالسنن الشرعية. وتأمل وصف هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه لحال النبي ﷺ مع قومه، لتفقه سر المسألة: «**فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ**».

فلا نقول بأن الأمة في عهدها المكي فهي مستضعفة من كل وجه، ولا هي كذلك في العهد المدني، فهي ممكنة من كل وجه، ولكن فيها من هذا وذاك، فنستنهضها بما يناسب من الحالين، لتقوم علىٰ أقدامها، وتحمل رسالتها الخالدة في العالمين، فإن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كانت لهم أعمال جليلة في كلٍّ من العهدين، المكي والمدني، فليس هناك وقت يتعطل فيه العمل لهذا الدين، والانتصار لحق الله تعالىٰ ورسوله والمؤمنين.

وكما قيل:

فالْبِس لكل حالة لبوسها   إما نعيمها وإما بُوسَها

فلا نعجلن في أمر لنا فيه أناة، وأما الحديث الذي في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ قَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ**

اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

فهذا نفهمه في إطار الآيات والأحاديث الأخرىٰ علىٰ سبيل المؤمنين، والتي تدل علىٰ ضرورة استصحاب الحال، من قوة وضعف، والنظر في حقيقة وجود الشوكة الضاربة من عدمها، فالله تعالىٰ أخبر أنه لا يكلف نفسًا إلا وُسعها، وإلا ما آتاها، وأمر أن نُعِدَّ ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦٠، ٦١].

وإن عدم المخاطرة بالفئة المؤمنة، وضرورة عدم الزَّجِّ بها في لقاء غير مدروس دراسة وافية علىٰ سبيل المؤمنين، وإن ضرورة المحافظة والحفاظ عليها، أمر مأمور به شرعًا، ومطلب رباني، وتأمل في ما أمر الله تعالىٰ به عبده ورسوله عيسىٰ عليه السلام، عند خروج يأجوج ومأجوج، فَمَعَ أن الجيش خرج منتصرًا من معاركه الفاصلة مع أمم الكفر في آخر الزمان، إلا أنه لما كان يأجوج ومأجوج لا قبل لأحد بهم من الناس، أمر الله تعالىٰ نبيه عيسىٰ عليه السلام، أن يحرز المؤمنين إلىٰ الطور، كما في حديث النواس بن سمعان في «صحيح مسلم» في حديث طويل، يذكر فيه النبي ﷺ قَتْلَ عيسىٰ عليه السلام للدجال، وفيه، قال النبي ﷺ: «**إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ بْنَ**

مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْق بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأَسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِىٰ طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِى عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِيْ لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»....... الحديث.

واعتبر بما جاء في كتاب «السنة» لأبي بكر بن الخلال: «وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: ثَنَا أَبُو هِشَامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ آدَمَ أَيَّامَ أَبِي السَّرَايَا يَقُولُ: هَاهُنَا قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ قَوْلَ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ قَدْ هَلَكُوا»، وَسَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ يَقُولُ: لَا أَخْرَجُ وَإِمَامٌ قَائِمٌ، وَلَا أَخْرَجُ **إِلَّا فِي فِرْقَةٍ، وَلَا أَخْرُجُ إِلَّا فِي جُنْدٍ يُوَازِي عَدُوِّي، لَا أُلْقِيَ بِيَدِي إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ**، وَلَا أَخْرَجُ إِلَّا مَعَ إِمَامٍ فِيهِ شَرَائِعُ السُّنَنِ كُلِّهَا، إِنْ كَانَتِ السُّنَنُ مِائَةَ شَرِيعَةٍ، وَكَانَ فِيهِ مِنْهَا تِسْعٌ وَتِسْعُونَ شَرِيعَةً لَمْ أَخْرُجْ مَعَهُ». ا.هـ.

كما أن علينا أن نعلم علم اليقين، أن من أعظم أسباب الهلكة في هذه الأمة، أن نَفْتَئِتَ علىٰ حَقِّها، بأن نَحْسِمَ المسائل العِظام، والقضايا الكبار بعيدًا عن شورىٰ أهل الحل والعقد في هذه الأمة، في سِلْمٍ أو حرب، أو خلافة أو دولة عامة، فإن هذا من فعل الخوارج المارقين، كما بين ذلك

الإمام أحمد كما في الكتاب السنة للخلال.

وقد سمىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك غصبًا، كما في «صحيح البخاري» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًىٰ وَهْوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا؛ إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَىٰ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا فَوَاللهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ إِنِّي إِنْ شَاءَ اللهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، **فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ**، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَىٰ قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَىٰ أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا، وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَىٰ مَوَاضِعِهَا، **فَأَمْهِلْ حَتَّىٰ تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ وَيَضَعُونَهَا عَلَىٰ مَوَاضِعِهَا**، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ........ إلىٰ أن قال:

ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ وَاللهِ لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَلَا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، **وَلَكِنَّ اللهَ وَقَىٰ شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي**

بَكْرٍ مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُبَايَعُ هُوَ، وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلَا..... الحديث.

وتأمل هذا القول الفصل من إمام من أئمة السلف اسمه وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ، في ما ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «عَلِيُّ بنُ المَدِيْنِيِّ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بنُ يُوْسُفَ، أَخْبَرَنِي دَاوُدُ بنُ قَيْسٍ، قَالَ: كَانَ لِي صَدِيْقٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو شَمِرٍ ذُوْ خَوْلَانَ، فَخَرَجْتُ مِنْ صَنْعَاءَ أُرِيْدُ قَرْيَتَهُ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا، وَجَدْتُ كِتَابًا مَخْتُوْمًا إِلَىٰ أَبِي شَمِرٍ، فَجِئْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ مَهْمُوْمًا حَزِيْنًا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: قَدِمَ رَسُوْلٌ مِنْ صَنْعَاءَ، فَذَكَرَ أَنَّ أَصْدِقَاءَ لِي كَتَبُوا لِي كِتَابًا، فَضَيَّعَهُ الرَّسُوْلُ.

قُلْتُ: فَهَذَا الكِتَابُ. فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ. فَفَضَّهُ، فَقَرَأَهُ، فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِيْهِ. فَقَالَ: إِنِّي لأَسْتَحْدِثُ سِنَّكَ. قُلْتُ: فَمَا فِيْهِ؟، قَالَ: ضَرْبُ الرِّقَابِ. قُلْتُ: لَعَلَّهُ كَتَبَهُ إِلَيْكَ نَاسٌ حَرُوْرِيَّةٌ فِي زَكَاةِ مَالِكَ.

قَالَ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُهُم؟، قُلْتُ: إِنِّي وَأَصْحَابًا لِي نُجَالِسُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ، فَيَقُوْلُ لَنَا: احْذَرُوا أَيُّهَا الأَحْدَاثُ الأَغْمَارُ هَؤُلَاءِ الحَرُوْرَاءَ، لَا يُدْخِلُوْنَكُم فِي رَأْيِهِم المُخَالِفِ، فَإِنَّهُم عُرَّةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ.

فَدَفَعَ إِلَيَّ الكِتَابَ، فَقَرَأْتُهُ، فَإِذَا فِيْهِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ، وَنُوْصِيْكَ بِتَقْوَاهُ، فَإِنَّ دِيْنَ اللهِ رُشْدٌ وَهُدَىٰ، وَإِنَّ دِيْنَ اللهِ طَاعَةُ اللهِ، وَمُخَالَفَةُ مَنْ خَالَفَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ، فَإِذَا جَاءكَ كِتَابُنَا، فَانْظُرْ أَنْ تُؤَدِّيَ - إِنْ شَاءَ

اللهُ – مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّهِ، تَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ وَلَايَةِ اللهِ، وَوَلَايَةَ أَوْلِيَائِهِ، وَالسَّلَامُ.

قُلْتُ لَهُ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْهُم. قَالَ: فَكَيْفَ أَتَّبِعُ قَوْلَكَ، وَأَتْرُكُ قَوْلَ مَنْ هُوَ أَقْدَمُ مِنْكَ؟!. قُلْتُ: فَتُحِبُّ أَنْ أُدْخِلَكَ عَلَىٰ وَهْبٍ حَتَّىٰ تَسْمَعَ قَوْلَهُ؟، قَالَ: نَعَمْ.

فَنَزَلنَا إِلَىٰ صَنْعَاءَ، فَأَدْخَلْتُهُ عَلَىٰ وَهْبٍ – وَمَسْعُوْدُ بنُ عَوْفٍ وَالٍ عَلَىٰ اليَمَنِ مِنْ قِبَلِ عُرْوَةَ بنِ مُحَمَّدٍ – فَوَجَدْنَا عِنْدَ وَهْبٍ نَفَرًا.

فَقَالَ لِي بَعْضُ النَّفَرِ: مَنْ هَذَا الشَّيْخُ؟، قُلْتُ: لَهُ حَاجَةٌ. فَقَامَ القَوْمُ، فَقَالَ وَهْبٌ: مَا حَاجَتُكَ يَا ذَا خَوْلَانَ؟.

فَهَرَجَ، وَجَبُنَ، فَقَالَ لِي وَهْبٌ: عَبِّرْ عَنْهُ. قُلْتُ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ وَالصَّلَاحِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِسَرِيْرَتِهِ، فَأَخْبَرَنِي:

أَنَّهُ عَرَضَ لَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ حَرُوْرَاءَ، فَقَالُوا لَهُ: زَكَاتُكَ الَّتِي تُؤَدِّيْهَا إِلَىٰ الأُمَرَاءِ لَا تُجْزِئُ عَنْكَ، لأَنَّهُم لَا يَضَعُوْنَهَا فِي مَوَاضِعِهَا، فَأَدِّهَا إِلَيْنَا، وَرَأَيْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَنَّ كَلَامَكَ أَشْفَىٰ لَهُ مِنْ كَلَامِي.

فَقَالَ: يَا ذَا خَوْلَانَ، أَتُرِيْدُ أَنْ تَكُوْنَ بَعْدَ الكِبَرِ حَرُوْرِيًّا، تَشْهَدُ عَلَىٰ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ بِالضَّلَالَةِ؟!، فَمَاذَا أَنْتَ قَائِلٌ للهِ غَدًا حِيْنَ يَقِفُكَ اللهُ وَمَنْ شَهِدْتَ عَلَيْهِ؟. فَاللهُ يَشْهَدُ لَهُ بِالإِيْمَانِ، وَأَنْتَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالكُفْرِ، وَالله يَشْهَدُ لَهُ بِالهُدَىٰ، وَأَنْتَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ، فَأَيْنَ تَقَعُ إِذَا خَالَفَ رَأْيُكَ أَمْرَ اللهِ؟،

وَشَهَادَتُكَ شَهَادَةَ اللهِ؟، أَخْبِرْنِي يَا ذَا خَوْلَانَ، مَاذَا يَقُوْلُوْنَ لَكَ؟.

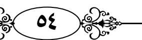
فَتَكَلَّمَ عِنْد ذَلِكَ، وَقَالَ لِوَهْبٍ: إِنَّهُم يَأْمُرُوْنَنِي أَلَّا أَتَصَدَّقَ إِلَّا عَلَىٰ مَنْ يَرَىٰ رَأْيَهُم، وَلَا أَسْتَغْفِرَ إِلَّا لَهُ.

فَقَالَ: صَدَقْتَ، هَذِهِ مِحْنَتُهُم الكَاذِبَةُ، فَأَمَّا قَوْلُهُم فِي الصَّدَقَةِ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ دَخَلَتِ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، أَفَإِنْسَانٌ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللهَ يُوَحِّدُهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يُطْعِمَهُ مِنْ جُوْعٍ أَوْ هِرَّةٌ؟!، وَاللهُ يَقُوْلُ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإِنْسَانُ: ٨] الآيات.

وَأَمَّا قَوْلُهُم: لَا يُسْتَغْفَرُ إِلَّا لِمَنْ يَرَىٰ رَأْيَهُم، أَهُمْ خَيْرٌ أَمِ المَلَائِكَةُ، وَاللهُ يَقُوْلُ: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشُّوْرَىٰ: ٥]، فَوَاللهِ مَا فَعَلَتِ المَلَائِكَةُ ذَلِكَ حَتَّىٰ أُمِرُوا بِهِ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ٢٧]، وَجَاءَ مُيَسَّرًا: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غَافِرُ: ٧].

يَا ذَا خَوْلَانَ، إِنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ صَدْرَ الإِسْلَامِ، فَوَاللهِ مَا كَانَتِ الخَوَارِجُ جَمَاعَةً قَطُّ، إِلَّا فَرَّقَهَا اللهُ عَلَىٰ شَرِّ حَالَاتِهِم، وَمَا أَظْهَرَ أَحَدٌ مِنْهُم قَوْلَهُ، إِلَّا ضَرَبَ اللهُ عُنُقَهُ، وَلَوْ مَكَّنَ اللهُ لَهُم مِنْ رَأْيِهِم، لَفَسَدَتِ الأَرْضُ، وَقُطِعَتِ السُّبُلُ وَالحَجُّ، وَلَعَادَ أَمْرُ الإِسْلَامِ جَاهِلِيَّةً، وَإِذًا لَقَامَ جَمَاعَةٌ كُلٌّ مِنْهُم يَدْعُو إِلَىٰ نَفْسِهِ الخِلَافَةَ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ،

يُقَاتِلُ بَعْضُهُم بَعْضًا، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُم عَلَىٰ بَعْضٍ بِالكُفْرِ، حَتَّىٰ يُصْبِحَ الْمُؤْمِنُ خَائِفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَدِيْنِهِ وَدَمِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، لَا يَدْرِي مَعَ مَنْ يَكُوْنُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٥١]......».اهـ.



ثانيًا
عُلْوِيةُ المصدر والتشريع

أنت أيها المسلم عزيز بعلوية المصدر والتشريع؛ فالذي يشرع لك ويسيرك؛ والذي ينهاك ويأمرك هو الله رب العالمين الواحد القهار، وهذا من أعظم ما يدعوك إلىٰ الشعور بالعزة، والكرامة، والرفعة، وعلو المكانة ففي حين ركن الشرق والغرب إلىٰ حثالات الأفكار، وزبالات الأذهان؛ فوضعوا القوانين، وشرعوا الدساتير علىٰ حسب الآراء والأهواء، فهم يشرعون بالنهار وينسخون بالليل، فيطبقون عقول العباد علىٰ العباد، عندها يصيح المسلم بأعلىٰ صوته: أنه لا يقبل كائنًا من كان أن يُشَرِّعَ له، أو يُقَنِّنَ له، أو أن يُمَنْهِجَ له سوىٰ الله رب العالمين جل وعلا وتقدس، لسان حاله يقول: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

يصيح قائلًا بلغة ملؤها الرفض، والاستياء، وعدم القبول والإذعان:

أنا عبدٌ لله ولست عبدًا للناس، فلا أرتضي سوىٰ شرع الله بحال من الأحوال حاكمًا ومُحَكَّمًا.

إذن؛ جاء الإسلام؛ ليخرجك أيها الإنسان المسلم من عبادتك

للعباد إلىٰ عبادة رب العباد، فأنت أيها المسلم لا تقبل تشريعًا من سوىٰ الله جل وعلا، ولا تقبل منهجًا سوىٰ منهج الله ﷻ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هذه وصية الله جل وعلا إليك أيها المسلم من فوق سبع سماوات، ألا ترضىٰ -بحال- تشريعًا سوىٰ شرع الله جل وعلا، ولا مُحْتَكَمًا إليه سوىٰ شرع رب العالمين، في وقت عمَّ فيه تحكيم آراء العباد علىٰ العباد، بل ويُحْمَلُ الناسُ عليها بالحديد والنار؛ ولذلك ترىٰ أمم الأرض اليوم ترزح تحت نَيْر الآصار والأغلال، وتعيش ألوانًا من الذل والشقاء، والنكد، والهم والغم، وقلة ذات اليد، كل هذا وغيره كثيرٌ حصل؛ بسبب تنكُّر العباد لشرع الله ﷻ: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٦] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

فهذه سنة الله في كل من أعرض عنه ﷻ، وعن شرعه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

ولهذا قال تعالىٰ مرشدًا عباده إلىٰ ما يكون به عزهم وفلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فقال عز من قائل عليمًا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

إذن؛ هذا التكذيب، وهذا التخلي، وهذا الإعراض عن شرع الله جل وعلا هو السبب الرئيسي وراء كثير مما نراه اليوم من تسلط الأعداء،

وتكالبهم علينا، فنحن أقوياء متىٰ ما تمسكنا بالإسلام، وعملنا بتشريعاته العظيمة، وأذلاء متىٰ ما تخلينا عن الإسلام، ومبانيه العظام.

ولهذا؛ أكد النبي ﷺ علىٰ هذا المعنىٰ الكبير فقال: «**يوشك أن تداعىٰ عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها**»، قال: قلنا: يا رسول الله أمن قِلَّةٍ بنا يومئذ؟، قال: «**أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**» قال: قلنا وما الوهن؟، قال: «**حب الحياة، وكراهية الموت**»(١).

هذا الحديث عباد الله يبين فيه النبي ﷺ حقيقةً عظمىٰ لابد أن نعيها ونفقهها: أن المسلمين لم ولن يزالوا أعزاء متىٰ ما تمسكوا بهذا الدين، وأن أمم الكفر مهما كثرت، وتكالبت، وتناصرت، وتداعت من مشارق الأرض ومغاربها لكي يقضوا علىٰ هذا الدين وأهله؛ فلن يستطيعوا ذلك أبدًا؛ حتىٰ يضعف المسلمون في أنفسهم؛ وحتىٰ يتخلوا عن دينهم، ومنهجهم وشرع ربهم؛ عندها يأتي الأكلة الذين يتربصون بتلك القصعة، وكانوا ينتظرون ضعف القائم عليها؛ لكي ينقضوا عليها، وينهشوها، كما ينهش الذئب فريسته.

إذن؛ يوشك أن تتداعىٰ علينا الأمم من مشارق الأرض ومغاربها، كما تداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها، وقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ في عالم اليوم، بل وفي هذا العقد بالذات ظهرت أبشع ألوان المكر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند جيد، ورواه الطيالسي أيضا، وأخرجه أبو داود بسند فيه ضعف.

والخديعة، والكيد للإسلام والمسلمين، وكشر الأعداء عن أنيابهم، ومضوا يسفكون الدماء الطاهرة، ويهتكون الأعراض المصونه، ويسلبون الأموال المعصومة؛ وذلك كله وقع من جراء تكالب أكثر المسلمين اليوم علىٰ الدنيا، وتنكرهم لهذا الدين العظيم، وبعدهم عن مباني الإسلام العظام، وتخليهم عن شرع الله جل وعلا، واستبدالهم إياه بشرع عباد البقر والفئران، والفروج والأوثان، والأصنام والصلبان؛ فكان ذلك هو أعظم الأسباب التي أوقعتنا فيما نحن فيه اليوم من الذل، والخور، والتقهقر.

فعلينا جميعًا أن نعلم أنه لا عز، ولا رغد في العيش، ولا أمن، ولا أمان، ولا استقرار إلا في تطبيق شرع الله جل وعلا.

ولهذا كانت التشريعات الجاهلية في يوم من الأيام شبحًا يخيف أهلها، وظلامًا تعيشه أوربا، رزحت تحت نيرِه سنوات طويلة؛ بسبب فساد تشريعاتهم، لماذا؟، لأنها من وضع العباد، فهي إذن حثالة أفكارهم، وزبالة أذهان رهبانهم وأحبارهم، جمعوها في كتب، وطبقوها علىٰ العباد؛ ليأكلوا أموال الناس بالباطل؛ وَلِيُعَبِّدُوا العباد لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة: ٣٤].

فجاءت تشريعاتهم الجاهلية لا تواكب الإنسان، ولا تخدم قضيته،



ولا تتناسب مع مراداته وطموحاته؛ فقد صادمته في تعليمه وفكره وحجرت عليه عقله أن يفكر به، وحاربت كل اختراع نافع، أو عمل صالح، فردت عليه كل ما هو حسن؛ لأن الكنيسة أرادت أن تسيطر علىٰ العالم كله، وأن تبقىٰ اللقمة السائغة دائمًا في فمها وحدها؛ وأما من عداها، فليأكلوا الطين والرمل كما قال سلفهم الجاهلي في جاهليته:

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينًا

وهم اليوم ما زالوا يتخبطون في غياهب الجاهلية المعاصرة؛ ولهذا لا زالوا ولن يزالوا -طالما أنهم علىٰ هذه الحالة- في الفرقة، والهم، والغم، وشتات الأمر، فهم لما فروا من شرع الكنيسة المحرف المبدل؛ ارتموا في أحضان الإلحاد والزندقة والعياذ بالله تعالىٰ.

ولكن نخطئ كثيرًا عباد الله عندما نطبق هذا التصور الخاطئ علىٰ إسلامنا، علىٰ ديننا الحنيف، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه؛ لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وللأسف الشديد أنه وجد بين المسلمين من يوجه نفس هذه النظرة إلىٰ هذا الدين العظيم؛ وذلك بسبب تصوره الخاطئ للإسلام؛ فكانت النتيجة أن ظهرت فينا الانهزامية، والتقهقر، والرجعية، وأصبحنا نسمع ونرىٰ من بعض المنتسبين لهذا الدين العظيم من يصف المسلمين بالرجعية، والتخلف، عندما ينادون بالالتزام بشرع الله جل وعلا، وتطبيق حدوده عياذًا بالله من ذلك.

لأنهم يظنون أن ما وقع مع الغرب بسبب الكنيسة، هو نفسه ما سيقع لنا إذا التزمنا بشرع الله جل وعلا.

كلا عباد الله هذا ضلال عظيم، وفساد في التصور كبير، ولا يكاد ينطق به إلا المنافقون، علىٰ اختلاف صورهم، وأشكالهم (من العلمانيين، والديمقراطيين والحَداثِيِّين، ودعاة الوطنية، والقومية، والعقلانية، والعصرانية، والشيوعيين، والرافضة المارقين، وأشباههم، وأفراخهم من الماسونيين، وعُبَّاد المال من الطابور الخامس المشين المهين).

فأقول: لم يعش العالم كلُّه حضارةً ولا تقدُّمًا كما عاشه المسلمون لما تمسكوا بدينهم، وطبقوا شرع ربهم؛ ولهذا فقد خسر العالم الكثير الكثير بسبب تخلي المسلمين عن موضع القيادة والريادة، حينما تركوا شرع الله رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، وفزعوا إلىٰ تشريعات العباد الجاهلية.

إن هذا الدين دين معصومٌ كامل، وقد امتن الله علىٰ العباد بذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾

[المائدة: ٣].

وإن هذا الإسلام محفوظ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

هذا وعد إلهي بالحفظ، والتمكين، والعناية التامة بهذا الدين!.

فمن الظلم العظيم أن يوجد بين المسلمين من ينادي إلىٰ أفكار الشرق والغرب؛ ومن الظلم العظيم والغبن الفاحش لدين الله تعالىٰ أن يوجد بين المسلمين من يطبق غير شرع الله جل وعلا، هذه انهزامية تامة منقطعة النظير، ولهذا سمىٰ الله تبارك وتعالىٰ المتنكر لشرعه - إما بالامتناع عن تطبيقه أو بتبديله أو بإحلال الشرع المبدل مكان الشرع المنزل عبر تطبيق القوانين الوضعية - سماه الله تعالىٰ كافرًا(١)، وأخبر أن له الذل،

(١) ومن العجائب في هذا الزمان أننا نجد من يعذر عن الذين حكموا شريعة الطاغوت في رقاب عباد الله، وحملوهم علىٰ ذلك بالحديد والنار وهم يستميتون في الدفاع عن هؤلاء الحاكمين بغير شرع الله تعالىٰ، في حين أننا لا نجد أحدًا منهم يبين للناس وللحكام أن الحكم بغير ما أنزل الله بالإجماع حرام لا شك فيه، سواء قلنا أنه كفر أكبر ناقل عن الملة وهو الصحيح وما سواه باطل قطعا، وإن قال به من قال من المتأخرين، بعد قيام الحجة واستبانة المحجة بتحقيق الشروط وانتفاء الموانع، وراجع لأدلة هذا القول الحق كتابي التشريع، ففيه نقولات غزيرة ووفيرة عن السلف والخلف تقرر هذا المعنىٰ، ولمزيد من الرد علىٰ الشبه راجع كتابي إسعاف السؤول بشرح ثلاثة الأصول.

أو كما قال آخرون بتأويلات فاسدة واجتهاد خاطئ، إنه كفر أصغر «كفر دون كفر» مع أن الإجماع منقول علىٰ أنه كفر أكبر.

أقول لماذا لا يقوم هؤلاء المجادلون عن الطواغيت بتحذير الناس من طاعة هذه التشريعات الجاهلية، وأنه مهما كان الحال فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا أمر مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، والأحاديث في ذلك متواترة في حين أننا نجدهم يبرون أقلامهم ويسلطون ألسنتهم بل وأيديهم إن
=

والصغار وعذاب النار: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ

= استطاعوا علىٰ كل من يقوم لينكر هذا الطاغوت الأكبر ويحذر من هذا المنكر العظيم وينادي بضرورة إزالته وتنحية هذه التشريعات الجاهلية عن دنيا الناس.

ولكن قليل من هؤلاء من يبين للعامة حرمة وخطر الحكم بغير ما أنزل الله وأنه لا تجوز الطاعة في ذلك، وأن الحكم بغير ما أنزل الله أعظم من الزنا وشرب الخمر والربا، فقد سماه الله في القرآن كفرًا وفسقًا وظلما، وبين أنه حكم الجاهلية، ورمىٰ القائمين به بالنفاق واتباع الهوىٰ ولكن لا نرىٰ ذلك إلا نزرًا يسيرًا.

فاللهم ردنا وإياهم إلىٰ سواء الصراط، وعافنا الله وإياهم من الهوىٰ المعمي الصمم، آمين.

إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

ولعل من الحجج الواهية التي يعتذر بها من جهل حقيقة هذا الدين أنهم يقولون: «**إننا إن طبقنا الإسلام، وشرع الله تعالىٰ؛ فسيتسلط علينا أهل الباطل، وستحاربنا دول الكفر قاطبة كأمريكا وغيرها، وستزول كراسينا، وسيضمحل ملكنا**». فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونعوذ بالله من سوء الظن بالله رب العالمين.

فهؤلاء يظنون أن الأمر بيد العباد، وطواغيت العصر من اليهود، والنصارىٰ، ودول الكفر، والضلال؛ وعلىٰ رأسهم أمريكا الظالمة المتجبرة، قصمها الله، آمين.

أقول: كيف يظن هؤلاء أنهم لو طبقوا شرع الله بصدق أن الله سيخذلهم، هذا من أبعد الأمور، ولكن ما الحيلة فيمن فسدت نيتهُ، وساءت طويته؟!. وأساء الظن بربه، وحقيقة أمره أنه ليس في قلبه يقين بنصر الله تعالىٰ، وأنه لم يقدر الله حق قدره؛ أو أنه كاذب، لا يريد أصلًا تطبيق الشرع، ولا العمل بالإسلام؛ وهذا ظاهر وواضح للعيان، والله تعالىٰ يقول في كتابه العزيز: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد: ٢١]؛ ولهذا قال تعالىٰ عن أمثال هؤلاء كاشفًا حقيقة أمرهم، ومكرهم، وخداعهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص: ٥٧].

وكشف الله سترهم وفضحهم في كتابه العزيز، وَرَدَّ دعواهم أنهم مؤمنون، في حين أنهم يقبلون من الشرع ما يوافق هواهم وواقعهم، ويتنكرون أو ينكرون كل تشريع يخالف أهواءهم وعاداتهم وتقاليدهم، وضغط واقعهم، فقال تعالىٰ مجليًا أمرهم ومظهرًا مخبآت صدورهم، وما تخفي قلوبهم، قال العليم الخبير بخلقه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

فعودوا معاشر المسلمين والمسلمات إلىٰ تطبيق شرع الله تبارك وتعالىٰ، والمطالبة بشدة، والإصرار بالعمل الجاد، لإقصاء تلك التشريعات الجاهلية، التي لا تزيدنا إلا ذلًّا، وصغارًا، وويلًا، ووبالًا في الدنيا والآخرة عياذًا بالله من ذلك، فالعز كل العز في تطبيق شرع الله تبارك وتعالىٰ، والذل كل الذل في القوانين الطاغوتية الجاهلية.

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ثالثاً
عظمةُ القدوة وعلو المنزلة وشرفها

إنك عبد الله، من أمة محمد ﷺ هذه الأمة المرحومة، التي شرفها الله تعالىٰ بهذا النبي العظيم، الخاتم سيد الأنبياء، وأشرف المرسلين، أكرم خلق الله علىٰ الله رب العالمين.

فهذه الأمة لها مكانتها بين الأمم، كما قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فكفاك أيها المسلم شرفًا وعزًّا انتسابك إلىٰ هذا الرسول العظيم ﷺ، ولكن لابد أن يكون هذا الانتساب انتسابًا حقيقيًّا تامًّا في المظهر والمخبر، لابد من الانتصار لسنة النبي ﷺ، والذَّبِّ عنها، وتنزيلها علىٰ الواقع؛ فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهذا النبي ﷺ بعث ليطبق هذا الدين في واقع الحياة، ويبين ما أراده الله تعالىٰ من عباده؛ لكي يتحول الإسلام إلىٰ واقع عملي يعيشه العباد.

ولهذا قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد سُئِلَتْ عن خلق النبي ﷺ فقالت: «ألست

تقرأ القرآن؟، قلت: بلىٰ. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»(١).

فالنبي ﷺ حَوَّلَ الإسلام بتعاليمه الربانية من الأوامر والنواهي إلىٰ واقع عملي عاشه ﷺ، وعاشه معه أصحابه رضوان الله عليهم.

وإنه لمن الغبن العظيم أن نسمع فيما بين المسلمين من إذا دعي إلىٰ الله ورسوله، ودعي إلىٰ تطبيق منهج الصحابة الكرام، قال بصيغة المستبعد للأمر، وكأنه شيء مستحيل وقوعه أو تكرره قال: «ذلك النبي ﷺ، وأولئك الصحابة رضوان الله عليهم فأين نحن منهم؟، وإننا مهما فعلنا فلن نستطيع أن نفعل ذلك؛ فنحن معذورون إذن ألا نطبق كل ما طبَّقه أولئك الأطهار الأخيار، فأولئك قوم ونحن قوم». وهذا اعتذار ساقط مشين.

فنقول: نَعَمْ عباد الله، ذلك جيل لا يمكن اللحاق به من جهة الفضل والعدل؛ والكرامة علىٰ الله جل وعلا، ولكن من جهة التطبيق لهذا الدين؛ فهذا أمر عام لجميع العباد يجب أن يقوموا به، وليس ذلك خاصًّا بالصحابة رضي الله عنهم، فإن تعاليم الإسلام هي تعاليم الإسلام، فالدين واحد، ولن يتغير، فالدين الذي طبقه الرسول ﷺ والصحابة الكرام البررة، هو نفس الدين الذي خُوطبنا به نحن، وأمرنا بالعمل بمسلماته، ومبانيه العظام، وتنزيل مبادئه الثابتة علىٰ دنيا الواقع.

فالأمر الذي لا شك فيه أننا كلنا كُلِّفْنا أن نقوم بهذا الدين، وأن ننزله في واقع الحياة، وأن ذلك باستطاعة جميع العباد؛ فإن الله تعالىٰ قد أخبر أنه لم يكلف عباده إلا ما يطيقون، وما يستطيعون، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما من حديث سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها.

نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

إذن؛ هذا الدين نستطيع أن نطبقه، ونعمل به في كل صغير، وكبير في حياتنا، وواقعنا، وما هذا الجيل الفذ من الصحابة الكرام إلا دليلٌ واضحٌ، وحجةٌ قاطعةٌ أن الله لم يكلف بني آدم ما لا يطيقون، فهاهم هؤلاء الصحابة الذين هم من بني آدم، وليسوا ملائكة، ولا صنفًا آخر من خلق الله، بل هم مثلنا من بني آدم، هاهم هؤلاء قد قاموا بالدين حق القيام، ولكن الخلل، والعيب في أنفسنا، وفي بعدنا عن تعاليم الإسلام، وفي تنكُّرنا لسنة النبي ﷺ، وعليه فيجب أن يكون انتسابنا لهذا الدين، ولهذا الرسول الكريم ﷺ انتسابًا حقيقيًّا عمليًّا واقعيًّا؛ لكي ننتفع به، وتحصل لنا العزة من جراء ذلك بإذن الله تعالىٰ، وإلا فهيهات هيهات أن نجد العزة أو النجاة، ونحن قائمون بغير دين الله، ومهتدون بغير هدي رسول الله ﷺ.

ولنعلم جميعًا أن هذا هو التبديل الذي حذرنا من مغبته رسول الله ﷺ في غير ما حديث، فمنها قوله ﷺ: «**إني علىٰ الحوض حتىٰ أنظرَ من يَرِدُ عليَّ منكم، وسيُؤْخذُ ناسٌ دوني، فأقول: يا ربِّ مني، ومن أمتي، فيُقال: هل شَعَرتَ ما عملوا بعدَك؟، والله ما برحوا يرجعونَ علىٰ أعقابهم**»[1]. فكان ابنُ أبي مُليكةَ يقول: اللهمَّ إنا نَعوذ بكَ أن نرجعَ علىٰ أعقابِنا، أو نُفتن عن ديننا.

وفي البخاري عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال: «**بَينا أنا نائم، فإِذا**

---

(١) متفق عليه من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

زُمرة، حتىٰ إذا عَرَفتهم، خرجَ رجل من بيني وبينهم فقال: هلمَّ، فقلتُ: أين، قال: إلىٰ النار والله، قلتُ:وما شأنهم، قال: إنهمُ ارتدُّوا بعدَكَ علىٰ أَدبارهم القهقَرىٰ. ثمَّ إذا زُمرة، حتىٰ إذا عرَفتهم خرجَ رَجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمَّ، قلتُ: أينَ، قال: إلىٰ النار والله. قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدُّوا بعدَك علىٰ أَدبارِهمُ القهقرَىٰ، فلا أُراه يَخلُصُ منهم إلا مِثْلُ هَمل النَّعَم».

ورواه مسلم أيضًا بنحوهما وفي بعض الروايات «**فأقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**».

ولهذا امتدح الله تعالىٰ الصحابة الكرام البررة ومن سار علىٰ هديهم بأنهم طبقوا الإسلام ودخلوا فيه كافة، وأنهم لم يقدموا علىٰ أمر الله ورسوله مالًا ولا ولدًا؛ فقال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

ولهذا قال تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

ومن هنا نعلم خطورة التبديل والتغيير لهدي النبي ﷺ، وأنه هو الذي هوىٰ بنا في هذه الهوة السحيقة، التي يعيشها كثير من المسلمين اليوم، فقد سُلِّطَ علينا الذل، ونزع الله المهابة منا من قلوب أعدائنا؛ فأصبحنا أذل أهل الأرض، وصارت دماؤنا أرخص الدماء علىٰ الإطلاق؛ لأننا هان علينا ديننا، وتنكرنا لشرع ربنا، وسنة نبيه ﷺ؛ فكان ما نحن فيه جزاءً وفاقًا!.

ولا مخرج لنا من هذه الورطة العظيمة إلا بالرجوع الصادق لهذا الدين، وتحكيمه في الصغير والكبير من حياتنا، والاعتزاز بسنة سيد المرسلين نبينا محمدٍ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأن يكون ذلك أمرًا واقعيًّا حقيقيًّا، لا شعاراتٍ براقةً ترفع، ولا إعلامًا نسمع منه جِعْجِعَةً ولا نرىٰ طحنًا ولا طحينًا! فما أكثر الكلام اليوم عن الإسلام، والتمسح به، والانتساب إليه، وما أقل العاملين به بحق وحقيقة.

عباد الله، إن هذا النبي الكريم ﷺ يتمنىٰ كل صالح وصِدِّيقٍ أن لو كانوا من أمته؛ فهو القدوة العظمىٰ، والإمام الأعظم، وهو حامل لواء الحمد يومَ القيامة، وهو صاحب المقام المحمود، وهو أفضل، خلق الله جل وعلا وأطهرهم وأكملهم فلماذا هذا التنكُّر لسنته؟!، إن هذا من أعجب العجب.

إن الغرب الكافر إذا ظهر فيهم عظيم من عظمائهم، أو كبير من كبرائهم، أو أحد مشاهيرهم؛ تراهم حريصين كل الحرص علىٰ تقليده،



واتباع أثره في كل شيء، حتىٰ إنهم ليقلدونهم في هيئاتهم، وطريقة مشيتهم، ومنهج حياتهم، هذا وهم أذل، وأهون علىٰ الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها، وأضل من الحيوانات سبيلًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال: ٥٥].

وأنت أيها المسلم ما لك لا تقلد وتقتفي وتتشبه بخير خلق الله، وأكرم خلق الله، وأطهر خلق الله، وأعظم خلق الله علىٰ الإطلاق؟!، والشرف لك في ذلك؛ فهو ﷺ سيد ولد آدم، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، وهو الشافع المشفع في المحشر ﷺ.

فما لي أراك مُزْوَرًّا عن سنته، مستحييًا من العمل بها؟!، أتخشىٰ أن تُنسَبَ إلىٰ تطبيق السنة، والعمل بها؟!، فاتق الله عبد الله، واشكر هذه النعمة العظيمة التي حباك الله بها؛ حيث جعلك الله من أمة هي أفضل الأمم، وبعث لك أفضل الرسل، وأنزل إليك أفضل الكتب، هذا كله دون تعب منك، ولا نصب، ولا وصب؛ فاحمد الله علىٰ هذه النعم العظيمة، والآلاء الجسيمة، واحذر أن تكفر هذه النعم؛ فتزل قدمٌ بعد ثبوتها؛ فتذوق السوء والعياذ بالله من ذلك.

فبالشكر تقر النعم، وبكفرها تزول؛ فارفع رأسك بهذا الهدي النبوي

شامخًا مستعليًا بإيمانك، فرحًا بانتسابك لأطهر خلق الله، وأفضلهم، وأشرفهم محمد -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- لا كحالة من يطبق السنة علىٰ استحياء وراء الكواليس؛ خشية أن يُوصَمَ بها، فارفع رأسك بالسنة مهما كثر المشنعون، والمعاتبون، والمنافقون، وهذا معنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله.

وإليك أخي المسلم جملة من الأسئلة التي تطرح نفسها عليك؛ لتختبر بها مدىٰ تحقيقك لمعنىٰ هذه الشهادة العظيمة؛ ولتنظر أين أنت من المحبة الحقيقية لله ورسوله؟.

هل معتقدك في الشهادتين، ومعناهما، ومقتضاهما موافق لمعتقد النبي ﷺ في أسماء الله، وصفاته، وربوبيته، وإلهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟، أم أنت من المقلدين التائهين الذين يعبدون الله علىٰ حرف، وهم ماكثون علىٰ هامش العقيدة والدين؟!.

هل صليت وفق قوله عليه الصلاة والسلام: «**صَلُّوا كما رَأَيتُمونِي أُصَلِّي**؟»[1]؟!.

هل أديت مناسك الدين علىٰ وفق قوله عليه الصلاة والسلام: «**لتأْخُذُوا عنِّي منَاسِكَكُم**»[2]؟!.

أين اقتفاؤك لسنة نبيك ﷺ مظهرًا ومخبَرًا؟!.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أين لحيتك؟!.

لماذا تحلق سنة نبيك الكريم ﷺ، وتلقيها في المزبلة؟!.

لماذا تشوهها بالأخذ منها؛ حتىٰ صارت كالعرجون القديم؟!.

لماذا هذا التلاعب بهذه الفريضة التي أجمع المسلمون علىٰ فرضيتها كما نقل إجماعهم الإمام ابن حزم في كتابه «مراتب الإجماع» حيث قال: «**واتفقوا أن حلق جميع اللحية مُثْلَةٌ لا تجوز**».

أين تقصيرك لثيابك علىٰ وفق ما كان عليه رسول الله ﷺ؟!

ما لي أراك قد خالفت هدي نبيك ﷺ في إزارك ولباسك وتشبهت بأعدائك؟!.

أختي المسلمة، أين تطبيقك لأوامر نبيك ﷺ في حجابك وحيائك وعفافك؟!.

أختي المسلمة، أين طلبك للعلم الشرعي، الذي به تصحيحين معتقدك في الله تعالىٰ، لتحققي التوحيد، الذي هو حق الله علىٰ العبيد، والذي لن ينتفع العبد بأعماله الصالحة كلها، مهما تكاثرت، إذا فسد توحيده لله تعالىٰ.

أختي المسلمة، أين محافظتك علىٰ الصلاة التي هي عمود هذا الدين؟، وهل أنت تصلينها كما صلاها النبي الكريم ﷺ ؟.

أختي المسلمة، مالي أراكِ خرجتِ كاسية عارية، ما لي أراكِ اعتدتِ المكوث الساعات الطوال خارج المنزل، ألا تعلمين أن الله تعالىٰ نهاك عن

هذا، وحذرك من تبرج الجاهلية الأولىٰ، وإنما يريد الله بذلك صلاحك ونجاتك، قال تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

[الأحزاب: ٣٣].

ألا تعلمين أن النبي الكريم ﷺ، الحريص علىٰ أمته ونجاتها، قد هدد وتوعد النساء الكاسيات العاريات، بالحرمان من الجنة، ودخول النيران، كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِىْ هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**».

ألا تعلمين أن هذا الحديث المخيف يدل علىٰ أن هذا الصنف من النساء، لم يرهن النبي ﷺ، لا قبل البِعْثَةِ، ولا بعد البِعْثَةِ، أي لم يظهرن ولا في زمان الجاهلية؟.

ألا تعلمين أن معنىٰ كاسية عارية، أي تلك المرأة التي تلبس الضيق من اللباس، والتي تلبس الشفاف من الثياب، فهي كاسية بلباس، وهي حقيقة عارية منه، ومن تقوىٰ الله تعالىٰ فيه.

أختىٰ المسلمة، ما لي أراكِ خرجت فاتنة مفتونة، تتجولين هنا وهناك، ألا تتقين الله تعالىٰ في أمة الإسلام، ألا تحبين أن تكوني سببا لنهضة

هذه الأمة، بدلا عن أن تكوني، مصدر فتنتها، ومعول هدم فيها؟.

أختي المسلمة، ما لي أراكِ تصافحين الرجال الأجانب عنك؟.

وما لي أراكِ تَخْلِين بالرجال الأجانب عنك، وتسافرين من غير ذي محرم؟.

أسئلة كثيرة تحتاج منك إلىٰ أجابة جادة اليوم، قبل أن يُقال: **ماتت فلانة.**

فاتقوا الله -معاشر المسلمين والمسلمات- وتذكروا نعمة الله عليكم، حيث قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

وربط الله تبارك وتعالىٰ محبته بمحبة نبيه؛ فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

[آل عمران: ٣١، ٣٢].

ولنتذكر جميعًا مراد الله بنا، كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٧ – ٢٩]، وقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦]، وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١٤]، وقال جل في علاه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: ٣١].

وفي «الصحيحين» عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه، قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**». قُلْنَا: لَا وَهْيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**».

أما الشيطان فمراده إهلاكنا، وجلب جميع ما فيه شقاؤنا، كما قال ربه وربنا تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ

وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٥، ٦].

وقال تعالىٰ محذرًا عباده، ومُذَكِّرًا لهم بعهده: ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٥].

وأختم بمشهد مهيب من مشاهد القيامة، وخطبة الشيطان الرجيم ومقاله في أتباعه في النار، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ

فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢١ - ٢٣].

وعلينا أن نعلم أنه لن تتمثل فينا حقيقة محبة النبي ﷺ بالأهازيج، والمدائح، ولا بالموالد، والمواسم البدعية.

بل لن تتمثل فينا حقيقة محبته -عليه الصلاة والسلام- إلا بالمتابعة الصادقة، والجادة لسنته عليه الصلاة والسلام، واقتفاء أثره في كل صغير وكبير من حياتنا، وما عز الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم، وما رفعهم الله تعالىٰ إلا بهذا الاقتفاء، والتطبيق العملي الواقعي لمحبة الرسول ﷺ عبر الاعتزاز بسنته، وتطبيق أوامره، واجتناب نواهيه حتىٰ فيما يظهر لهم أنه خير لهم كما قال رافع بن خديج: «كُنَّا نُحَاقِلُ الأَرْضَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ؛ فَنُكْرِيهَا بِالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالطَّعَامِ المسَمَّىٰ؛ فَجَاءَنَا ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ مِنْ عُمُومَتِي؛ فَقَالَ: نَهَانَا رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا، وَطَوَاعِيَةُ الله وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا»(١).

ومن العجائب -وليس في ذلك عجب لمن عرف حقيقة الصحابة وعظمة الطاعة التي قامت في قلوبهم لله ورسوله- ما جاء في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، من طريق

(١) أخرجه مسلم.



حماد بن زيد، حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ: أن عبد الله بن رواحة أتىٰ النبي ﷺ وهو يخطب فسمعه وهو يقول: «**اجلسوا**»؛ فجلس مكانه خارج المسجد، حتىٰ فرغ النبي ﷺ من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**زادك الله حرصًا علىٰ طواعية الله ورسوله**». وروي بعضه عن عروة عن عائشة. اهـ بتصرف يسير لبيان المعنىٰ.

وهذا غيض من فيض مما ضرب فيه الصحابة الكرام أروع الأمثلة في الاعتزاز بسنة النبي ﷺ، والتصديق التام والعمل بها؛ لعلمهم أنه لا فلاح، ولا عِزَّ، ولا نجاح، ولا تمكين إلا بالطواعية التامة لهذا النبي الكريم ﷺ ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**»[(١)].

ولهذا كان كثيرًا ما يأمر النبي ﷺ أصحابه، ويذكرهم بأن تكون لهم به الأسوة التامة في كل صغير وكبير من شئون حياتهم.

وإليك طرفًا من ذلك:

أخرج الترمذي في «الشمائل» والنسائي من طريق أشعث بن أبي الشعثاء -واسم أبيه سليم- المحاربي عن عمته واسمها رهم بضم الراء وسكون الهاء، وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها، واسمه عبيد بن خالد، قال: كنت أمشي وعليَّ بُردٌ أجره، فقال لي رجل: «**ارفع ثوبك فإنه أنقىٰ وأبقىٰ**»، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: إنما هي بردة ملحاء، فقال:

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

«**أما لك فيَّ أسوة**» قال: فنظرت فإذا إزاره إلىٰ أنصاف ساقيه. قال الحافظ في «الفتح»: وسنده جيد.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ، ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس».

وقال ابن كثير في «تفسيره»: «وروىٰ ابن أبي حاتم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن لنساء قريش لفضلًا، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا لكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل، ولقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته وعلىٰ كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلىٰ مرطها المرحل، فاعتجرت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأنهن علىٰ رءوسهن الغربان. أخرجه ابن أبي حاتم وأبو داود.

وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن أكتف مروطهن فاختمرن بها». اهـ.

نعم؛ إنه الاعتزاز التام بسنته عليه الصلاة والسلام والاقتفاء الكامل لأثره ﷺ.

ولله در الإمام سفيان الثوري عندما قال: «إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل».

فاتقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات في نبيكم عليه الصلاة والسلام، واعرفوا له حقه وقدره، وإن من أعظم نكران الجميل في حقه عليه الصلاة والسلام التنكر لسنته، وعدم العمل بها، والمصيبة الأعظم تركها إلىٰ غيرها من أفعال الذين لا خلاق لهم: من المنافقين والعلمانيين واليهود والنصارىٰ، وأضرابهم من المجوس، والذين أشركوا.

فالله الله! في سنة نبيكم، اعتزوا بها، وارفعوا رءوسكم عالية بتطبيقها، ولا تبالوا بكثرة المشنعين، ولا المخالفين، ولا تستوحشوا من قلة السالكين والمتبعين؛ فإن العز والتمكين، والفلاح والرشد في طاعة هذا النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فافقهوا هذه الحقيقة الكبرىٰ التي عرفها هرقل الروم، ولا تكونوا أسوأ منه حالًا، وذلك عندما قال لأتباعه عندما جاءه كتاب النبي ﷺ مع دحية الكلبي رضي الله عنه قال: «يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟». أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فقد عرف هذا العلج الرومي أنه لا فلاح ولا رشد إلا في اتباع المصطفىٰ ﷺ وطاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فما بال بعضنا لم يفقه هذه الحقيقة العظمىٰ مع جلائها ووضوحها؟!.

ولكن كما قال الشاعر:

ومـن يـك ذا فـمٍ مُـرٍّ مـريضٍ   يجـد مُـرًّا بـه المـاء الـزلالا

وأذكركم ونفسي بهذه الآيات، التي فيها التهديد الشديد، والوعيد العظيم، لمن شاق الله ورسوله، واتبع غيرسبيل المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٥ - ١٢١]. فالحذر! الحذر!.

❊ ❊ ❊



رابعــاً
صدق الميعاد وتحقق الوعد

أنت أيها المسلم موعود بالنصر والتمكين، فمهما أظلمت الدنيا، ومهما احلولكت الخطوب، وتأزمت الأمور، وتكالب الشرق والغرب علىٰ الإسلام والمسلمين، لابد أن تضع في قلبك يقيناً: اسمه الثقة بنصر الله جل وعلا، لابد أن تثق بنصر الله ﷻ لهذا الدين وأهله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

إن الثقة بنصر الله جل وعلا هي هدي الأنبياء والمرسلين، ونحن أيضًا لابد أن نكون كذلك؛ فإن الوعد بالنصر كائنٌ لا محالة؛ طالما أننا عملنا بالأسباب في نصرة دين الله جل وعلا، وبذلنا كل غالٍ ورخيص، ووطأنا للأمر، فليكن ما يكون فإن الله جل وعلا ناصر دينه، ومُعلٍ كلمته، وقد تقدم معنا قصة موسىٰ مع فرعون اللعين، وكيف أنه كان واثقًا من نصر الله رب العالمين، وأنه لم يؤثر فيه إرجاف العدو، ولا قوته، ولا عدده، ولا

عدته؛ لأنه قام لينصر دين الله تعالىٰ، والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد: ٧].

فأين نحن عباد الله من وعود كثيرة وعدنا الله عَزَّوَجَلَّ بها في كتابه العزيز بالنصر والتمكين؛ إن صدَّقناه سبحانه ونصرناه جل وعلا.

وإنه لمن العجب أننا ومع كثرة هذه الوعود، وصدق تحققها واليقين التام بوقوعها إلا أننا ما زلنا نعيش ذلًّا وخزيًا في عالمنا اليوم.

والسبب في ذلك: أننا لم نفهم حقيقة وعد الله جل وعلا، ولم نتعامل حقيقة مع هذا الوعد بيقين تام، وتصديق مطلق، ولم نبذل الأسباب التي يحصل لنا بها ذلك الوعد الذي وعدنا الله جل وعلا به، فلحصول هذا الوعد لابد أن نأتي بشروطه، ومتىٰ ما أتيْنا بتلك الشروط تحقق لنا وعد الله جل وعلا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

فالنصر آتٍ لا محالة، ولكن لابد من الأخذ بأسبابه مع الثقة التامة بوعد الله جل وعلا، وأنه حاصل لا محالة، وإن طال الزمان فلن يذهب الليل والنهار حتىٰ يمكِّن الله لدينه، وينصر أولياءه، ويجعل كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ



ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٧، ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

وأخرج أحمد في «مسنده» من طريق صفوان بن مسلم، قال: حدثني سليم بن عامر عن تميم الداري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل؛ عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل الله به الكفر**». وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب مَن كان منهم كافرًا الذل والصَّغَار والجزية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:

والحق منصورٌ وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمنِ

وبذاك يظهر حِزْبُهُ من حَرْبِهِ ... ولأجل ذاك الناس طائفتانِ

ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ ... كفار مُذْ قام الورىٰ سجلانِ

لكنما العقبىٰ لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدىٰ الديانِ

ولكن كما تقدم، وكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الالتفات إلىٰ الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع»(١).

فلابد أن نأخذ بالأسباب عباد الله، وأن نثق بنصر الله عَزَّوَجَلَّ لنا، ولابد أن نتعامل مع الأحداث بهذه الثقة التامة مهما كثر الخبث، ومهما صال الباطل وجال؛ فإن صولته ساعة، وصولة الحق إلىٰ قيام الساعة، فمهما أرغىٰ الباطل وأزبد، وظهر لأول وهلة أنه قوي متماسك، فما يلبث أن تنكشف حقيقته ويخور أمام قوة الحق، وثبات أهله علىٰ مبادئهم التي لا تتغير بتغير المواقف، فأهله لا يعطون الدنية في دينهم، ولا يغيرون مسلَّمات الإسلام لأجل طاغوت ولا غيره، مهما أرغىٰ وأزبد الأعداء، ومهما كانت ضغوط الواقع، وسياسات الدول، فالحكم لله العلي الكبير دائمًا وأبدًا.

فلابد إذن من نبذ هذه الانهزامية في التعامل مع الأحداث، ولنتعامل تعاملًا يدل علىٰ ثقتنا بنصر الله جل وعلا، وامتلاء قلوبنا يقينًا بحتمية الصراع بين الحق والباطل، ولكن العاقبة للمتقين، وحزب الله المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (ج ١/ ص١٣١).



وكما قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

ونقول كما قال الشاعر:

قــل لمــن قــام للإســلام يغلبــه   إن كنت ريحًا فقد لاقاك إعصارُ

وكما قال ابن القيم:

لا تخـش كثـرتهم فهـم همـج   وذبابــه أتخــاف مــن ذُبَّــانِ

وكما قال قائلهم لله دره:

كنــا جبــالًا في الجبــال وربمــا   ســرنا علىٰ مـوج البحـار بحـارَا

لـن تـنس إفريقيـا ولا صـحراؤها   ســجداتنا والأرض تقـذف نـارَا

كنـا نـرىٰ الأصـنام مـن ذهـب   فنهـدمها ونهـدم فوقهـا الكفـارَا

لـو كـان غيـر المسـلمين لحازهـا   كنـزًا وصـاغ الحلـيَّ والـدينارَا

فإذا رأيت -عبد الله- الأمم قد تكالبت علينا، وكثر الفساد، وعَمَّ واستشرىٰ في كل مكان؛ فليزدد رصيد اليقين، والثقة بالله جل وعلا في قلبك، فأنت علىٰ موعد من الله جل وعلا بالنصر والتمكين، وهو الذي لا

يخلف الميعاد، فمهما رأينا من عدة الأعداء، وعددهم، وكثرة أموالهم، وقدراتهم، فإنها ليست بشيء إن صدقنا الله تعالىٰ، فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧].

فعليك إذن بزيادة العمل، ولا يهولنك الأمر؛ فتقعد يائسًا حسيرًا، بل شمر عن ساعد الجد، واعلم أن مع كل عسرٍ يُسْرَين، وأن المرأة عندما يصل بها الطلق والألم غايته، يأتيها الفرج من قريب، بإذن الله السميع المجيب.

فمن رحم الظلام يخرج النور، والليل إن تشتد ظلمته فإن الفجر لاح!.

وليس شرطًا أن ترىٰ أنت نصر الله لدينه، ولكن عليك بالعمل الجاد؛ لنصرة هذا الدين، أما النصر فقد يراه أجيالٌ وأجيالٌ من بعدنا، إلا أنه قد امتلأت نفوسنا -بحمد الله تعالىٰ- يقينًا بحتمية وقوع ذلك؛ فلنشرف أنفسنا بالسير في هذا الركب المبارك لنصرة هذا الدين العظيم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي



وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤١-٤٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٥٨-٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤].

فاعلم عبد الله أن هذا الدين منصور لا محالة، وأنه إن لم يحمله العرب حمله العجم، وإن لم يحمله العجم، فليحمله من شاء الله من عباده، إلا أن النصر آت لا محالة قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٤-٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

إن هذه الثقة بنصر الله تعالىٰ، وتحقق وعده؛ من أعظم ما يحث المسلم علىٰ العز، والعمل علىٰ نصرة هذا الدين، ونبذ التبعية، والانهزامية أمام الأعداء، مهما كثروا، وتكالبوا، وتحزبوا؛ فإن وعد الله كائن لا محالة، ونصره آت من قريب بإذنه جل وعلا.

والحذر كل الحذر من إساءة الظن بالله وتصديق ظن إبليس، بأن الباطل يُدال له علىٰ الحق إدالة مستقرة، حتىٰ يذهب الحق ويثبت الباطل، فإن هذا من ظن السوء في الله العليم الحكيم العزيز القوي المتين، ولكنها الابتلاءات الربانية، التي قضاها الله تبارك وتعالىٰ وأجراها سُنَّةً في عباده، ليتمايز العباد، ويُمْتَحَنُوا علىٰ حقيقة الإيمان بالله واليقين به، والثقة فيه، جل الله في علاه، كما قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ١ - ٦].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٦ - ٤٠].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٨٠].

وقال جل من قائل عليمًا: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنفال: ٥٩].

ولنتذكر هذه الآيات ولنجعلها دومًا نصب أعيينا، فإنها تبين أن النصر ليس خاصًّا بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام، بل هو كذلك لأتباعهم علىٰ بصيرة إلىٰ يوم الدين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ وَأَبۡصِرۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٨٢].

كلام نفيس عن ظَنِّ الجاهلية والدروس والعبر من مجريات أحداث غزوة أحد:

قال ابن القيم في كتابه الرائع «زاد المعاد في هدي خير العباد»: «**فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْحِكَمِ وَالْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ:**

وَقَدْ أَشَارَ اللهُ ﷻ إِلَىٰ أُمَّهَاتِهَا وَأُصُولِهَا فِي سُورَةِ آل عِمْرَانَ، حَيْثُ افْتَتَحَ الْقِصَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ﴾ [آل عِمْرَانَ ١٢١]، إِلَىٰ تَمَامِ سِتِّينَ آيَةً.

[تَعْرِيفُهُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ].

فَمِنْهَا: تَعْرِيفُهُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَشَلِ وَالتَّنَازُعِ وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِشُؤْمِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ [آلُ عِمْرَانَ ١٥٢]. فَلَمَّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مَعْصِيَتِهِمْ لِلرَّسُولِ وَتَنَازُعِهِمْ وَفَشَلِهِمْ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ حَذَرًا وَيَقَظَةً وَتَحَرُّزًا مِنْ أَسْبَابِ الْخِذْلَانِ.

[﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]].

وَمِنْهَا: أَنَّ حِكْمَةَ الله وَسُنَّتَهُ فِي رُسُلِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ جَرَتْ بِأَنْ يُدَالُوا مَرَّةً وَيُدَالَ عَلَيْهِمْ أُخْرَىٰ لَكِنْ تَكُونُ لَهُمْ الْعَاقِبَةُ فَإِنَّهُمْ لَوِ انْتَصَرُوا دَائِمًا دَخَلَ مَعَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَغَيْرُهُمْ وَلَمْ يَتَمَيَّزِ الصَّادِقُ مِنْ غَيْرِهِ وَلَوْ انْتُصِرَ عَلَيْهِمْ دَائِمًا لَمْ يَحْصُلِ المَقْصُودُ مِنَ البَعْثَةِ وَالرِّسَالَةِ؛ فاقتضت حِكمَةُ اللهِ أنْ جَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لِيَتَمَيَّزَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ وَيُطِيعُهُمْ لِلْحَقِّ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِمَّنْ يَتَّبِعُهُمْ عَلَىٰ الظُّهُورِ وَالْغَلَبَةِ خَاصَّةً.

[الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمْ الْعَاقِبَةُ]

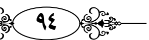
وَمِنْهَا: أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْلَامِ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ هِرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ؟، قَالَ: سِجَالٌ يُدَالُ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَىٰ، قَالَ: كَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَىٰ ثُمَّ

تَكُونُ لَهُمْ الْعَاقِبَة.

[تَمَيُّزُ الْمُؤْمِنِ الصّادِقِ مِنْ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ]

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُ الصّادِقُ مِنْ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ فَإِنّ الْمُسْلِمِينَ لَمّا أَظْهَرَهُمْ اللهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَطَارَ لَهُمُ الصِّيتُ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا مَنْ لَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ بَاطِنًا فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ سَبّبَ لِعِبَادِهِ مِحْنَةً مَيَّزَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ فَأَطْلَعَ الْمُنَافِقُونَ رُءُوسَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَتَكَلّمُوا بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَظَهَرَتْ مُخَبَّآتُهُمْ وَعَادَ تَلْوِيحُهُمْ تَصْرِيحًا، وَانْقَسَمَ النَّاسُ إلَىٰ كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٍ انْقِسَامًا ظَاهِرًا وَعَرَفَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ لَهُمْ عَدُوًّا فِي نَفْسِ دُورِهِمْ وَهُمْ مَعَهُمْ لَا يُفَارِقُونَهُمْ فَاسْتَعَدُّوا لَهُمْ وَتَحَرّزُوا مِنْهُمْ. قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٧٩]، أَيْ: مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنِ الْتِبَاسِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُنَافِقِينَ حَتّىٰ يَمِيزَ أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ النّفَاقِ كَمَا مَيّزَهُمْ بِالْمِحْنَةِ يَوْمَ أُحُدٍ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾، الّذِي يَمِيزُ بِهِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فَإِنّهُمْ مُتَمَيّزُونَ فِي غَيْبِهِ وَعِلْمِهِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يَمِيزَهُمْ تَمْيِيزًا مَشْهُودًا فَيَقَعُ مَعْلُومُهُ الّذِي هُوَ غَيْبٌ شَهَادَةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ اسْتِدْرَاكٌ لِمَا نَفَاهُ مِنِ اطّلَاعِ خَلْقِهِ عَلَىٰ الْغَيْبِ سِوَىٰ الرّسُلِ فَإِنّهُ يُطْلِعُهُمْ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ مِنْ غَيْبِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن



رَّسُولٍ﴾ [الْجِنّ:٢٧]، فَحَظّكُمْ أَنْتُمْ وَسَعَادَتُكُمْ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الّذِي يُطْلِعُ عَلَيْهِ رُسُلَهُ، فإِنْ آمنتُم وأيْقنتُم فلَكُم أعَظَمُ الأَجرِ والكَرَامَةِ.

[اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيَّةِ أَوْلِيَائِهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ]

وَمِنْهَا: اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيّةِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ فِي السّرّاءِ وَالضّرّاءِ، وَفِيمَا يُحِبّونَ وَمَا يَكْرَهُونَ وَفِي حَالِ ظَفَرِهِمْ وَظَفَرِ أَعْدَائِهِمْ بِهِمْ، فَإِذَا ثَبَتُوا عَلَىٰ الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيّةِ فِيمَا يُحِبّونَ وَمَا يَكْرَهُونَ فَهُمْ عَبِيدُهُ حَقّا وَلَيْسُوا كَمَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ السَّرَّاءِ وَالنّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ.

[حِكْمَةُ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ]

وَمِنْهَا: أَنّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ نَصَرَهُمْ دَائِمًا وَأَظْفَرَهُمْ بِعَدُوّهِمْ فِي كُلّ مَوْطِنٍ وَجَعَلَ لَهُمْ التّمْكِينَ وَالْقَهْرَ لِأَعْدَائِهِمْ أَبَدًا لَطَغَتْ نُفُوسُهُمْ وَشَمَخَتْ وَارْتَفَعَتْ فَلَوْ بَسَطَ لَهُمْ النّصْرَ وَالظّفَرَ لَكَانُوا فِي الْحَالِ الّتِي يَكُونُونَ فِيهَا لَوْ بَسَطَ لَهُمْ الرّزْقَ فَلَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ إلّا السّرّاءُ وَالضّرّاءُ وَالشّدّةُ وَالرّخَاءُ وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ فَهُوَ الْمُدَبّرُ لِأَمْرِ عِبَادِهِ كَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ إنّهُ بِهِمْ خَبِيرٌ بَصِيرٌ.

[الْخُضُوعُ لِجَبَرُوتِهِ تَعَالَى]

وَمِنْهَا: أَنّهُ إذَا امْتَحَنَهُمْ بِالْغَلَبَةِ وَالْكَسْرَةِ وَالْهَزِيمَةِ ذُلّوا وَانْكَسَرُوا وَخَضَعُوا فَاسْتَوْجَبُوا مِنْهُ الْعِزَّ وَالنّصْرَ فَإِنّ خَلْعَةَ النّصْرِ إنّمَا تَكُونُ مَعَ وِلَايَةِ الذّلّ وَالِانْكِسَارِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ

شَيْـًٔا ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٥]، فَهُوَ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُعِزّ عَبْدَهُ وَيَجْبُرُهُ وَيَنْصُرُهُ كَسَرَهُ أَوّلًا وَيَكُونُ جَبْرُهُ لَهُ وَنَصْرُهُ عَلَىٰ مِقْدَارِ ذُلِّهِ وَانْكِسَارِهِ.

[رَفْعُ مَنَازِلِهِمْ]

وَمِنْهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هَيّأَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَازِلَ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لَمْ تَبْلُغْهَا أَعْمَالُهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا بَالِغِيهَا إِلَّا بِالْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ فَقَيّضَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الّتِي تُوصِلُهُمْ إِلَيْهَا مِنْ ابْتِلَائِهِ وَامْتِحَانِهِ كَمَا وَفّقَهُمْ لِلْأَعْمَالِ الصّالِحَةِ الّتِي هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ وُصُولِهِمْ إِلَيْهَا.

[تَحْرِيضُهُمْ عَلَى الْجِدِّ فِي الْعُبُودِيّةِ لِلَّهِ]

وَمِنْهَا: أَنَّ النُّفُوسَ تَكْتَسِبُ مِنْ الْعَافِيَةِ الدّائِمَةِ وَالنّصْرِ وَالْغِنَىٰ طُغْيَانًا وَرُكُونًا إِلَىٰ الْعَاجِلَةِ وَذَلِكَ مَرَضٌ يَعُوقُهَا عَنْ جِدِّهَا فِي سَيْرِهَا إِلَىٰ اللهِ وَالدّارِ الْآخِرَةِ فَإِذَا أَرَادَ بِهَا رَبّهَا وَمَالِكُهَا وَرَاحِمُهَا كَرَامَتَهُ قَيّضَ لَهَا مِنْ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ مَا يَكُونُ دَوَاءً لِذَلِكَ الْمَرَضِ الْعَائِقِ عَنْ السَّيْرِ الْحَثِيثِ إِلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ وَالْمِحْنَةُ بِمَنزِلَة الطَّبِيب يَسْقِي العَلِيلَ الدَّوَاءَ الكريه، وَتقْطَعُ مِنُه العُروقَ المؤلِمَة لاسْتِخرَاج الأَدْوَاء منهُ، وَلَوْ تَرَكَهُ لَغَلَبَتْهُ الْأَدْوَاءُ حَتّىٰ يَكُونَ فِيهَا هَلَاكُهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الشَّهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ أَوْلِيَائِهِ وَالشُّهَدَاءُ هُمْ خَوَاصّهُ وَالْمُقَرّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ وَلَيْسَ بَعْدَ دَرَجَةِ الصّدّيقِيَّةِ إلّا الشُّهَادَةُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ يَتّخِذَ مِنْ عِبَادِهِ شُهَدَاءَ تُرَاقُ دِمَاؤُهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ وَيُؤْثِرُونَ رِضَاهُ وَمَحَابّهُ عَلَىٰ نُفُوسِهِمْ وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ نَيْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلَّا



بِتَقْدِيرِ الْأَسْبَابِ الْمُفْضِيَةِ إِلَيْهَا مِنْ تَسْلِيطِ الْعَدُوِّ.

[إِهْلَاكُ الْأَعْدَاءِ بَعْدَ ازْدِيَادِ بَغْيِهِمْ]

[بَسْطُ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾]

وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ أَعْدَاءَهُ وَيَمْحَقَهُمْ قَيَّضَ لَهُمْ الْأَسْبَابَ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا هَلَاكَهُمْ وَمَحْقَهُمْ وَمِنْ أَعْظَمِهَا بَعْدَ كُفْرِهِمْ بَغْيُهُمْ وَطُغْيَانُهُمْ وَمُبَالَغَتُهُمْ فِي أَذَىٰ أَوْلِيَائِهِ وَمُحَارَبَتِهِمْ وَقِتَالِهِمْ وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ فَيَتَمَحَّصُ بِذَلِكَ أَوْلِيَاؤُهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَعُيُوبِهِمْ وَيَزْدَادُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ مِنْ أَسْبَابِ مَحْقِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٣٩، ١٤٠]، فَجَمَعَ لَهُمْ فِي هَذَا الْخِطَابِ بَيْنَ تَشْجِيعِهِمْ وَتَقْوِيَةِ نُفُوسِهِمْ وَإِحْيَاءِ عَزَائِمِهِمْ وَهِمَمِهِمْ وَبَيْنَ حُسْنِ التَّسْلِيَةِ وَذِكْرِ الْحِكَمِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي اقْتَضَتْ إِدَالَةَ الْكُفَّارِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٤٠]، فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ فِي الْقَرْحِ وَالْأَلَمِ وَتَبَايَنْتُمْ فِي الرَّجَاءِ وَالثَّوَابِ كَمَا قَالَ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [النِّسَاءُ: ١٠٤]، فَمَا بَالُكُمْ تَهِنُونَ وَتَضْعُفُونَ عِنْدَ الْقَرْحِ وَالْأَلَمِ فَقَدْ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ وَأَنْتُمْ أُصِبْتُمْ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِي.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾.

ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُدَاوِلُ أَيَّامَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَيْنَ النَّاسِ وَأَنَّهَا عَرَضٌ حَاضِرٌ.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَىٰ وَهِيَ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ الْمُنَافِقِينَ فَيَعْلَمُهُمْ عِلْمَ رُؤْيَةٍ وَمُشَاهَدَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَعْلُومِينَ فِي غَيْبِهِ وَذَلِكَ الْعِلْمُ الْغَيْبِيّ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ وَإِنَّمَا يَتَرَتَّبُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ عَلَىٰ الْمَعْلُومِ إِذَا صَارَ مُشَاهَدًا وَاقِعًا فِي الْحِسّ.

[حُبُّ الله لِلشُّهَدَاءِ]

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَىٰ وَهِيَ اتِّخَاذُهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ؛ فَإِنَّهُ يُحِبّ الشُّهَدَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَقَدْ أَعَدّ لَهُمْ أَعْلَىٰ الْمَنَازِلِ وَأَفْضَلَهَا وَقَدْ اتَّخَذَهُمْ لِنَفْسِهِ فَلَابُدَّ أَنْ يُنِيلَهُمْ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، تَنْبِيهٌ لَطِيفُ الْمَوْقِعِ جِدًّا عَلَىٰ كَرَاهَتِهِ وَبُغْضِهِ لِلْمُنَافِقِينَ الّذِينَ انْخَذَلُوا عَنْ نَبِيّهِ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يَشْهَدُوهُ وَلَمْ يَتّخِذْ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ لِأَنّهُ لَمْ يُحِبّهُمْ فَأَرْكَسَهُمْ وَرَدّهُمْ لِيَحْرِمَهُمْ مَا خَصّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَا أَعْطَاهُ مَنْ اُسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ فَثَبّطَ هَؤُلَاءِ الظّالِمِينَ عَنْ الْأَسْبَابِ الّتِي وَفّقَ لَهَا أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَىٰ فِيمَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَهُوَ تَمْحِيصُ الّذِينَ

آمَنُوا وَهُوَ تَنْقِيَتُهُمْ وَتَخْلِيصُهُمْ مِنْ الذّنُوبِ وَمِنْ آفَاتِ النّفُوسِ وَأَيْضًا فَإِنّهُ خَلّصَهُمْ وَمَحّصَهُمْ مِنْ الْمُنَافِقِينَ فَتَمَيّزُوا مِنْهُمْ فَحَصَلَ لَهُمْ تَمْحِيصَانِ تَمْحِيصٌ مِنْ نُفُوسِهِمْ وَتَمْحِيصٌ مِمّنْ كَانَ يُظْهِرُ أَنّهُ مِنْهُمْ وَهُوَ عَدُوّهُمْ.

[﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾].

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَىٰ وَهِيَ مَحْقُ الْكَافِرِينَ بِطُغْيَانِهِمْ وَبَغْيِهِمْ وَعُدْوَانِهِمْ ثُمّ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ حُسْبَانَهُمْ وَظَنّهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنّةَ بِدُونِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَالصّبْرِ عَلَىٰ أَذَىٰ أَعْدَائِهِ وَأَنّ هَذَا مُمْتَنِعٌ بِحَيْثُ يُنْكَرُ عَلَىٰ مَنْ ظَنّهُ وَحَسِبَهُ، فَقَالَ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٤٢]، أَيْ: وَلَمّا يَقَعْ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَيَعْلَمُهُ فَإِنّهُ لَوْ وَقَعَ لَعَلِمَهُ؛ فَجَازَاكُمْ عَلَيْهِ بِالْجَنّةِ فَيَكُونُ الْجَزَاءُ عَلَىٰ الْوَاقِعِ الْمَعْلُومِ لَا عَلَىٰ مُجَرّدِ الْعِلْمِ، فَإِنّ اللهَ لَا يَجْزِي الْعَبْدَ عَلَىٰ مُجَرّدِ عِلْمِهِ فِيهِ دُونَ أَنْ يَقَعَ مَعْلُومُهُ.

ثُمّ وَبّخَهُمْ عَلَىٰ هَزِيمَتِهِمْ مِنْ أَمْرٍ كَانُوا يَتَمَنّوْنَهُ وَيَوَدّونَ لِقَاءَهُ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٤٣]. قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ: وَلَمّا أَخْبَرَهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيّهِ بِمَا فَعَلَ بِشُهَدَاءِ بَدْرٍ مِنْ الْكَرَامَةِ رَغِبُوا فِي الشّهَادَةِ فَتَمَنّوْا قِتَالًا يَسْتَشْهِدُونَ فِيهِ فَيَلْحَقُونَ إخْوَانَهُمْ فَأَرَاهُمْ اللهُ ذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ وَسَبّبَهُ لَهُمْ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنِ انْهَزَمُوا إلّا مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن

تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ.... أَفَإِيْن مَّاتَ﴾. ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾.

وَمِنْهَا: أَنَّ وَقْعَةَ أُحُدٍ كَانَتْ مُقَدِّمَةً وَإِرْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَثَبَّتَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ عَلَىٰ انْقِلَابِهِمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ إِنْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ قُتِلَ بَلْ الْوَاجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا عَلَىٰ دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَيَمُوتُوا عَلَيْهِ أَوْ يُقْتَلُوا فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ رَبَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ فَلَوْ مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ فَكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَمَا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِيُخَلَّدَ لَا هُوَ وَلَا هُمْ بَلْ لِيَمُوتُوا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ سَوَاءٌ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْ بَقِيَ وَلِهَذَا وَبَّخَهُمْ عَلَىٰ رُجُوعِ مَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ لَمَّا صَرَخَ الشَّيْطَانُ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٤]، وَالشَّاكِرُونَ هُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا قَدْرَ النِّعْمَةِ فَثَبَتُوا عَلَيْهَا حَتَّىٰ مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا.

فَظَهَرَ أَثَرُ هَذَا الْعِتَابِ وَحُكْمُ هَذَا الْخِطَابِ يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَارْتَدَّ مَنْ ارْتَدَّ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَثَبَتَ الشَّاكِرُونَ عَلَىٰ دِينِهِمْ فَنَصَرَهُمْ اللهُ وَأَعَزَّهُمْ وَظَفَّرَهُمْ بِأَعْدَائِهِمْ وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا لَابُدَّ أَنْ تَسْتَوْفِيَهُ ثُمَّ تَلْحَقَ بِهِ فَيَرِدُ النَّاسُ كُلُّهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا مَوْرِدًا

وَاحِدًا وَإِنْ تَنَوَّعَتْ أَسْبَابُهُ، وَيَصْدُرُونَ عَنْ مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مَصَادِرَ شَتَّىٰ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ أَنْبِيَائِهِ قُتِلُوا وَقُتِلَ مَعَهُمْ أَتْبَاعٌ لَهُمْ كثيرون فما وَهَنَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَمَا وَهَنُوا عِنْدَ الْقَتْلِ وَلَا ضَعُفُوا وَلَا اسْتَكَانُوا بَلْ تَلَقَّوْا الشَّهَادَةَ بِالْقُوَّةِ وَالْعَزِيمَةِ وَالْإِقْدَامِ فَلَمْ يَسْتَشْهِدُوا مُدْبِرِينَ مُسْتَكِينِينَ أَذِلَّةً، بَلْ اُسْتُشْهِدُوا أَعِزَّةً كِرَامًا مُقْبِلِينَ غَيْرَ مُدْبِرِينَ وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ تَتَنَاوَلُ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا. ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَمَّا اسْتَنْصَرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ مِنِ اعْتِرَافِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ وَسُؤَالِهِمْ رَبَّهُمْ أَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عِمْرَانَ ١٤٧]، لَمَّا عَلِمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَدُوَّ إِنَّمَا يُدَالُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَسْتَزِلُّهُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِهَا وَأَنَّهَا نَوْعَانِ تَقْصِيرٌ فِي حَقٍّ أَوْ تَجَاوُزٌ لِحَدٍّ وَأَنَّ النُّصْرَةَ مَنُوطَةٌ بِالطَّاعَةِ، قَالُوا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾، ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا هُمْ عَلَىٰ تَثْبِيتِ أَقْدَامِ أَنْفُسِهِمْ وَنَصْرِهَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ فَسَأَلُوهُ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بِيَدِهِ دُونَهُمْ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا وَلَمْ يَنْتَصِرُوا **فَوَفَّوْا الْمَقَامَيْنِ حَقَّهُمَا**: **مَقَامَ الْمُقْتَضِي وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالِالْتِجَاءُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَمَقَامَ إِزَالَةِ الْمَانِعِ مِنْ النُّصْرَةِ وَهُوَ الذُّنُوبُ وَالْإِسْرَافُ**، ثُمَّ حَذَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ طَاعَةِ عَدُوِّهِمْ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ إِنْ أَطَاعُوهُمْ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ،

وَفِي ذَلِكَ تَعْرِيضٌ بِالْمُنَافِقِينَ الّذِينَ أَطَاعُوا الْمُشْرِكِينَ لَمّا انْتَصَرُوا وَظَفِرُوا يَوْمَ أُحُدٍ. ثُمّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنّهُ مَوْلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ خَيْرُ النّاصِرِينَ فَمَنْ وَالَاهُ فَهُوَ الْمَنْصُورُ.

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنّهُ سَيُلْقِي فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ الرّعْبَ الّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنْ الْهُجُومِ عَلَيْهِمْ وَالْإِقْدَامِ عَلَىٰ حَرْبِهِمْ، وَأَنّهُ يُؤَيّدُ حِزْبَهُ بِجُنْدٍ مِنْ الرُّعْبِ يَنْتَصِرُونَ بِهِ عَلَىٰ أَعْدَائهمْ، وَذَلِكَ الرُّعْبُ بِسَبَبِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ الشِّرْكِ يَكُونُ الرُّعْبُ، فَالمُشْرِكُ بِاللهِ أَشَدّ شَيْءٍ خَوْفًا وَرُعْبًا وَالّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِالشِّرْكِ لَهُمْ الْأَمْنُ وَالْهُدَىٰ وَالْفَلَاحُ وَالْمُشْرِكُ لَهُ الْخَوْفُ وَالضّلَالُ وَالشَّقَاءُ.

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾.

ثُمّ أَخْبَرَهُمْ أَنّهُ صَدَقَهُمْ وَعْدَهُ فِي نُصْرَتِهِمْ عَلَىٰ عَدُوّهِمْ وَهُوَ الصّادِقُ الْوَعْدِ وَأَنّهُمْ لَوْ اسْتَمَرّوا عَلَىٰ الطّاعَةِ وَلُزُومِ أَمْرِ الرّسُولِ لَاسْتَمَرّتْ نُصْرَتُهُمْ وَلَكِنْ انْخَلَعُوا عَنْ الطّاعَةِ وَفَارَقُوا مَرْكَزَهُمْ فَانْخَلَعُوا عَنْ عِصْمَةِ الطّاعَةِ فَفَارَقَتْهُمْ النّصْرَةُ فَصَرَفَهُمْ عَنْ عَدُوّهِمْ عُقُوبَةً وَابْتِلَاءً وَتَعْرِيفًا لَهُمْ بِسُوءِ عَوَاقِبِ الْمَعْصِيَةِ وَحُسْنِ عَاقِبَةِ الطّاعَةِ.

ثُمّ أَخْبَرَ أَنّهُ عَفَا عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ كُلّهِ وَأَنّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

قِيلَ لِلْحَسَنِ: كَيْفَ يَعْفُو عَنْهُمْ وَقَدْ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ حَتَّىٰ قَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوا وَمَثَّلُوا بِهِمْ وَنَالُوا مِنْهُمْ مَا نَالُوهُ؟، فَقَالَ: لَوْلَا عَفْوُهُ عَنْهُمْ لَاسْتَأْصَلَهُمْ، وَلَكِنْ بِعَفْوِهِ عَنْهُمْ دَفَعَ عَنْهُمْ عَدُوَّهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُجْمِعِينَ عَلَىٰ اسْتِئْصَالِهِم.

[﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ... ﴾].

[شَرْحُ: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ ﴾].

ثُمّ ذَكّرَهُمْ بِحَالِهِمْ وَقْتَ الْفِرَارِ مُصْعِدِينَ -أَيْ: جَادّينَ فِي الْهَرَبِ وَالذّهَابِ فِي الْأَرْضِ أَوْ صَاعِدِينَ فِي الْجَبَلِ - لَا يَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ نَبِيّهِمْ وَلَا أَصْحَابِهِمْ، وَالرّسُولُ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْرَاهُمْ إلَيّ عِبَادَ اللهِ أَنَا رَسُولُ اللهِ؛ فَأَثَابَهُمْ بِهَذَا الْهَرَبِ وَالْفِرَارِ غَمًّا بَعْدَ غَمٍّ غَمِّ الْهَزِيمَةِ وَالْكَسْرَةِ، وَغَمِّ صَرْخَةِ الشَّيْطَانِ. فِيهِمْ بِأَنّ مُحَمّدًا قَدْ قُتِلَ. وَقِيلَ: جَازَاكُمْ غَمًّا بِمَا غَمَمْتُمْ رَسُولَهُ بِفِرَارِكُمْ عَنْهُ وَأَسْلَمْتُمُوهُ إلَىٰ عَدُوّهِ؛ فَالْغَمّ الّذِي حَصَلَ لَكُمْ جَزَاءً عَلَىٰ الْغَمّ الّذِي أَوْقَعْتُمُوهُ بِنَبِيّهِ وَالْقَوْلُ الْأَوّلُ أَظْهَرُ لِوُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنّ قَوْلَهُ: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ﴾ تَنْبِيهٌ عَلَىٰ حِكْمَةِ هَذَا الْغَمّ بَعْدَ الْغَمّ وَهُوَ أَنْ يُنْسِيَهُمْ الْحُزْنَ عَلَىٰ مَا فَاتَهُمْ مِنْ الظّفَر وَعَلىٰ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ الْهَزِيمَةِ وَالْجِرَاحِ فَنَسُوا بِذَلِكَ السّبَبَ، وَهَذَا إنّمَا يَحْصُلُ بِالْغَمّ الّذِي يَعْقُبُهُ غَمٌّ آخَرُ.

الثّانِي: أَنَّهُ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ فَإِنَّهُ حَصَلَ لَهُمْ غَمُّ فَوَاتِ الْغَنِيمَةِ، ثُمّ أَعْقَبَهُ غَمُّ الْهَزِيمَةِ ثُمّ غَمّ الْجِرَاحِ الّتِي أَصَابَتْهُمْ، ثُمَّ غَمّ الْقَتْلِ ثُمّ غَمّ سَمَاعِهِمْ أَنّ

رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ، ثُمّ غَمّ ظُهُورِ أَعْدَائِهِمْ عَلَىٰ الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ غَمَّيْنَ اثْنَيْنِ خَاصّةً بَلْ غَمًّا مُتَتَابِعًا لِتَمَامِ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ.

الثّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بِغَمٍّ﴾ مِنْ تَمَامِ الثّوَابِ لَا أَنّهُ سَبَبُ جَزَاءِ الثّوَابِ، وَالْمَعْنَىٰ: أَثَابَكُمْ غَمًّا مُتّصِلًا بِغَمٍّ جَزَاءً عَلَىٰ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مَنْ الْهُرُوبِ وَإِسْلَامِهِمْ نَبِيَّهُمْ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَتَرْكِ اسْتِجَابَتِهِمْ لَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي لُزُومِ مَرْكَزِهِمْ، وَتَنَازُعِهِمْ فِي الْأَمْرِ وَفَشَلِهِمْ، وَكُلّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يُوجِبُ غَمًّا يَخُصّهُ فَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِمْ الْغُمُومُ كَمَا تَرَادَفَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُهَا وَمُوجِبَاتُهَا وَلَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُمْ بِعَفْوِهِ لَكَانَ أَمْرًا آخَرَ.

وَمِنْ لُطْفِهِ بِهِمْ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ: أَنّ هَذِهِ الْأُمُورَ الّتِي صَدَرَتْ مِنْهُمْ كَانَتْ مِنْ مُوجِبَاتِ الطِّبَاعِ وَهِيَ مِنَ بَقَايَا النُّفُوسِ الّتِي تَمْنَعُ مِنَ النُّصْرَةِ الْمُسْتَقِرَّةِ فَقَيّضَ لَهُمْ بِلُطْفِهِ أَسْبَابًا أَخْرَجَهَا مِنْ الْقُوَّةِ إلَىٰ الْفِعْلِ، فَتَرَتّبَ عَلَيْهَا آثَارُهَا الْمَكْرُوهَةُ فَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّ التَّوْبَةَ مِنْهَا وَالِاحْتِرَازَ مِنْ أَمْثَالِهَا وَدَفْعَهَا بِأَضْدَادِهَا أَمْرٌ مُتَعَيِّنٌ لَا يَتِمُّ لَهُمْ الْفَلَاحُ وَالنُّصْرَةُ الدّائِمَةُ الْمُسْتَقِرَّةُ إلَّا بِهِ؛ فَكَانُوا أَشَدَّ حَذَرًا بَعْدَهَا وَمَعْرِفَةً بِالْأَبْوَابِ الّتِي دَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا.

وَرُبّمَا صَحّتْ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾.

[مَعْنَى ظَنِّ الْجَاهِلِيّةِ]

ثُمّ إنّهُ تَدَارَكَهُمْ سُبْحَانَهُ بِرَحْمَتِهِ وَخَفّفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْغَمَّ وَغَيّبَهُ عَنْهُمْ

بِالنّعَاسِ الّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ أَمْنًا مِنْهُ وَرَحْمَةً وَالنّعَاسُ فِي الْحَرْبِ عَلَامَةُ النّصْرَةِ وَالْأَمْنِ، كَمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَخْبَرَ أَنّ مَنْ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ النّعَاسُ فَهُوَ مِمّنْ أَهَمّتْهُ نَفْسُهُ لَا دِينُهُ وَلَا نَبِيّهُ وَلَا أَصْحَابُهُ، وَأَنّهُمْ يَظُنّونَ بِاَللّهِ غَيْرَ الْحَقّ ظَنَّ الْجَاهِلِيّةِ، وَقَدْ فُسّرَ هَذَا الظَّنُّ الّذِي لَا يَلِيقُ بِاَللّهِ بِأَنّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلّ وَأَنّهُ يُسْلِمُهُ لِلْقَتْلِ، وَقَدْ فُسّرَ بِظَنّهِمْ أَنّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَلَا حِكْمَةَ لَهُ فِيهِ، فَفُسّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمّ أَمْرَ رَسُولِهِ وَيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدّينِ كُلّهِ، **وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ بِهِ ﷻ فِي:(سُورَةِ الْفَتْحِ) حَيْثُ يَقُولُ:** ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٦﴾ [الْفَتْحُ: ٦].

وَإِنّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ وَظَنَّ الْجَاهِلِيّةِ الْمَنْسُوبَ إلَىٰ أَهْلِ الْجَهْلِ، وَظَنُّ غَيْرِ الْحَقِّ؛ لِأَنّهُ ظَنَّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَذَاتِهِ الْمُبَرّأَةِ مِنْ كُلّ عَيْبٍ وَسُوءٍ، بِخِلَافِ مَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَتَفَرّدِهِ بِالرّبُوبِيّةِ وَالْإِلَهِيّهِ، وَمَا يَلِيقُ بِوَعْدِهِ الصّادِقِ الّذِي لَا يُخْلِفُهُ، وَبِكَلِمَتِهِ الّتِي سَبَقَتْ لِرُسُلِهِ أَنّهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخْذُلُهُمْ وَلِجُنْدِهِ بِأَنّهُمْ هُمْ الْغَالِبُونَ، **فَمَنْ ظَنَّ بِأَنَّهُ لا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَلا يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُهُ وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ، وَيُعْلِيهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ لا يَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ، وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشِّرْكَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالْبَاطِلَ عَلَىٰ الْحَقِّ إدَالَةً مُسْتَقِرّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا**

التَّوْحِيدُ وَالْحَقّ اضْمِحْلَالًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَنَسَبَهُ إِلَىٰ خِلَافِ مَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ، فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَإِلَهِيَّتَهُ تَأْبَىٰ ذَلِكَ، وَتَأْبَىٰ أَنْ يُذَلَّ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ، وَأَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ الْمُسْتَقِرَّةُ وَالظَّفَرُ الدَّائِمُ لِأَعْدَائِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ الْعَادِلِينَ بِهِ، فَمَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ، فَمَا عَرَفَهُ، وَلَا عَرَفَ أَسَمَاءَهُ، وَلَا عَرَفَ صِفَاتِهِ وَكَمَالَهُ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ فَمَا عَرَفَهُ وَلَا عَرَفَ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ وَعَظَمَتَهُ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ مَا قَدَّرَهُ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لِحِكْمَةٍ صَدَرَ عَنْ مَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ حِكْمَةٍ وَغَايَةٍ مَطْلُوبَةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ فَوْتِهَا، وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْبَابَ الْمَكْرُوهَةَ الْمُفْضِيَةَ إِلَيْهَا لَا يَخْرُجُ تَقْدِيرُهَا عَنْ الْحِكْمَةِ لِإِفْضَائِهَا إِلَىٰ مَا يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُوهَةً لَهُ، فَمَا قَدَّرَهَا سُدًىٰ وَلَا أَنْشَأَهَا عَبَثًا وَلَا خَلَقَهَا بَاطِلًا: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقّ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَعَرَفَ مُوجِبَ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ فَمَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَيِسَ مِنْ رَوْحِهِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَ أَوْلِيَاءَهُ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَيُسَوِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنّ بِهِ أَنْ يَتْرُكَ خَلْقَهُ سُدًىٰ مُعَطَّلِينَ عَنْ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا



يُرْسِلَ إِلَيْهِم رُسُلَهُ وَلَا يُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، بَلْ يَتْرُكُهُمْ هَمَلًا كَالْأَنْعَامِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عَبِيدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي دَارٍ يُجَازِي الْمُحْسِنَ فِيهَا بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ وَيُبَيِّنَ لِخَلْقِهِ حَقِيقَةَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَيُظْهِرَ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ صِدْقَهُ وَصِدْقَ رُسُلِهِ وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ كَانُوا هُمْ الْكَاذِبِينَ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُضِيعُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ الصَّالِحَ الَّذِي عَمِلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَلَىٰ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَيُبْطِلُهُ عَلَيْهِ بِلَا سَبَبٍ مِنْ الْعَبْدِ أَوْ أَنَّهُ يُعَاقِبُهُ بِمَا لَا صُنْعَ فِيهِ وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ وَلَا إِرَادَةَ فِي حُصُولِهِ، بَلْ يُعَاقِبُهُ عَلَىٰ فِعْلِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ بِهِ، أَوْ ظَنَّ بِهِ، أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَيِّدَ أَعْدَاءَهُ الْكَاذِبِينَ عَلَيْهِ بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي يُؤَيِّدُ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَيُجْرِيهَا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ يُضِلُّونَ بِهَا عِبَادَهُ، وَأَنَّهُ يَحْسُنُ مِنْهُ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَعْذِيبُ مَنْ أَفْنَىٰ عُمُرَهُ فِي طَاعَتِهِ فَيُخَلِّدُهُ فِي أَسْفَلَ السَّافِلِينَ وَيُنَعِّمُ مَنِ اسْتَنْفَدَ عُمُرَهُ فِي عَدَاوَتِهِ وَعَدَاوَةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ فَيَرْفَعُهُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ عِنْدَهُ فِي الْحُسْنِ سَوَاءٌ وَلَا يُعْرَفُ امْتِنَاعُ أَحَدِهِمَا وَوُقُوعُ الْآخَرِ إِلَّا بِخَبَرٍ صَادِقٍ، وَإِلَّا فَالْعَقْلُ لَا يَقْضِي بِقُبْحِ أَحَدِهِمَا وَحُسْنِ الْآخَرِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَا ظَاهِرُهُ بَاطِلٌ وَتَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ وَتَرْكَ الْحَقَّ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ وَإِنَّمَا رَمَزَ إِلَيْهِ رُمُوزًا بَعِيدَةً وَأَشَارَ إِلَيْهِ إِشَارَاتٍ مُلْغِزَةً لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ، وَصَرَّحَ دَائِمًا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالْبَاطِلِ

وَأَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ أن يُتْعِبُوا أَذْهَانَهُمْ وَقُوَاهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ فِي تَحْرِيفِ كَلَامِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَأْوِيلِهِ، عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ وَيَتَطَلَّبُوا لَهُ وُجُوهَ الِاحْتِمَالَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ وَالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي هِيَ بِالْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِي أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْكَشْفِ وَالْبَيَانِ، وَأَحَالَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَىٰ عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ لَا عَلَىٰ كِتَابِهِ، بَلْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَلَّا يَحْمِلُوا كَلَامَهُ عَلَىٰ مَا يَعْرِفُونَ مِنْ خِطَابِهِمْ وَلُغَتِهِمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ أَنْ يُصَرِّحَ لَهُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي يَنْبَغِي التَّصْرِيحُ بِهِ وَيُرِيحَهُمْ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُوقِعُهُمْ فِي اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ؛ فَلَمْ يَفْعَلْ، بَلْ سَلَكَ بِهِمْ خِلَافَ طَرِيقِ الْهُدَىٰ وَالْبَيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، **فَإِنَّهُ إِنْ قَالَ**: إِنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَقّ بِاللّفْظِ الصَّرِيحِ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ هُوَ وَسَلَفُهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِقُدْرَتِهِ الْعَجْزَ، **وَإِنْ قَالَ**: إِنَّهُ قَادِرٌ وَلَمْ يُبَيِّنْ وَعَدَلَ عَنْ الْبَيَانِ وَعَنْ التَّصْرِيحِ بِالْحَقّ إِلَىٰ مَا يُوهِمُ بَلْ يُوقِعُ فِي الْبَاطِلِ الْمُحَالِ وَالِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ؛ فَقَدْ ظَنَّ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَظَنَّ أَنَّهُ هُوَ وَسَلَفُهُ عَبَّرُوا عَنْ الْحَقّ بِصَرِيحِهِ دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّ الْهُدَىٰ وَالْحَقّ فِي كَلَامِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ، وَأَمّا كَلَامُ اللهِ فَإِنّمَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِهِ التّشْبِيهُ وَالتّمْثِيلُ وَالضّلَالُ وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُتَهَوِّكِينَ ظَنَّ السَّوْءِ وَمِنْ الظَّانِّينَ بِهِ غَيْرَ الْحَقّ ظَنّ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَاءُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إيجَادِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنّهُ كَانَ مُعَطَّلًا مِنْ الْأَزَلِ إِلَىٰ الْأَبَدِ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ وَلَا يُوصَفُ حِينَئِذٍ بِالْقُدْرَةِ عَلَىٰ الْفِعْلِ ثُمَّ صَارَ قَادِرًا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا،

فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنّهُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَعْلَمُ الْمَوْجُودَاتِ وَلَا عَدَدَ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا النّجُومِ وَلَا بَنِي آدَمَ وَحَرَكَاتِهِمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْأَعْيَانِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنّهُ لَا سَمْعَ لَهُ وَلَا بَصَرَ وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا إرَادَةَ وَلَا كَلَامَ يَقُولُ بِهِ وَأَنّهُ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْ الْخَلْقِ وَلَا يَتَكَلّمُ أَبَدًا وَلَا قَالَ وَلَا يَقُولُ وَلَا لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ يَقُومُ بِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ وَأَنّ نِسْبَةَ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ إلَىٰ عَرْشِهِ كَنِسْبَتِهَا إلَىٰ أَسْفَلِ السّافِلِينَ وَإِلَىٰ الْأَمْكِنَةِ الّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا وَأَنّهُ أَسْفَلُ كَمَا أَنّهُ أَعْلَىٰ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنّهُ لَيْسَ يُحِبّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَيُحِبّ الْفَسَادَ كَمَا يُحِبّ الْإِيمَانَ وَالْبِرّ وَالطّاعَةَ وَالْإِصْلَاحَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنّهُ لَا يُحِبّ وَلَا يَرْضَىٰ، وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَسْخَطُ، وَلَا يُوَالِي وَلَا يُعَادِي، ولاَ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَأَنّ ذَوَاتَ الشَّيَاطِينِ فِي الْقُرْبِ مِنْ ذَاتِهِ كَذَوَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرّبِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُفْلِحِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنّهُ يُسَوّي بَيْنَ الْمُتَضَادَّيْنِ أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُتَسَاوِيَيْنِ مِنْ كُلّ وَجْهٍ، أَوْ يُحْبِطُ طَاعَاتِ الْعُمُرِ الْمَدِيدِ الْخَالِصَةِ الصّوَابِ بِكَبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ

تَكُونُ بَعْدَهَا فَيَخْلُدُ فَاعِلُ تِلْكَ الطَّاعَاتِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ بِتِلْكَ الْكَبِيرَةِ وَيُحْبِطُ بِهَا جَمِيعَ طَاعَاتِهِ وَيُخَلِّدُهُ فِي الْعَذَابِ كَمَا يُخَلِّدُ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَقَدْ اسْتَنْفَدَ سَاعَاتِ عُمْرِهِ فِي مَسَاخِطِهِ وَمُعَادَاةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَمَنْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ أَوْ عَطَّلَ حَقَائِقَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ شَرِيكًا، أَوْ أَنَّ أَحَدًا يَشْفَعُ عِنْدَهُ بِدُونِ إِذْنِهِ، أَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَسَائِطَ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ إِلَيْهِ، أَوْ أَنَّهُ نَصَبَ لِعِبَادِهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ وَيَجْعَلُونَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَيَدْعُونَهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ وَيَخَافُونَهُمْ وَيَرْجُونَهُمْ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ كَمَا يَنَالُهُ بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ حِكْمَتِهِ وَخِلَافَ مُوجَبِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهُوَ مِنْ ظَنِّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعَوِّضْهُ خَيْرًا مِنْهُ أَوْ مَنْ فَعَلَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ، يَغْضَبُ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَيُعَاقِبُهُ وَيَحْرِمُهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلَا الْمَشِيئَةِ وَمَحْضِ الْإِرَادَةِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.



وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ، إِذَا صَدَقَهُ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ وَاسْتَعَانَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُخَيِّبُهُ وَلَا يُعْطِيهِ مَا سَأَلَهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ وَظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُثِيبُهُ إِذَا عَصَاهُ بِمَا يُثِيبُهُ بِهِ إِذَا أَطَاعَهُ وَسَأَلَهُ ذَلِكَ فِي دُعَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ وَخِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَمَا لَا يَفْعَلُهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا أَغْضَبَهُ وَأَسْخَطَهُ وَأَوْضَعَ فِي مَعَاصِيهِ ثُمَّ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا وَدَعَا مَنْ دُونِهِ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا حَيًا أَوْ مَيِّتًا يَرْجُو بِذَلِكَ أَنْ يَنْفَعَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَيُخَلِّصَهُ مِنْ عَذَابِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي بُعْدِهِ مِنْ اللهِ وَفِي عَذَابِهِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُحَمّدٍ ﷺ أَعْدَاءَهُ تَسْلِيطًا مُسْتَقِرًّا دَائِمًا فِي حَيَاتِهِ وَفِي مَمَاتِهِ وَابْتَلَاهُ بِهِمْ لَا يُفَارِقُونَهُ، فَلَمّا مَاتَ اسْتَبَدُّوا بِالْأَمْرِ دُونَ وَصِيَّةٍ وَظَلَمُوا أَهْلَ بَيْتِهِ وَسَلَبُوهُمْ حَقَّهُمْ وَأَذَلّوهُمْ وَكَانَتْ الْعِزّةُ وَالْغَلَبَةُ وَالْقَهْرُ لِأَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِهِمْ دَائِمًا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَلَا ذَنْبٍ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ الْحَقّ، وَهُوَ يَرَىٰ قَهْرَهُمْ لَهُمْ وَغَصْبَهُمْ إِيّاهُمْ حَقّهُمْ وَتَبْدِيلَهُمْ دِينَ نَبِيّهِمْ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ وَجُنْدِهِ وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يُدِيلُهُمْ بَلْ يُدِيلُ أَعْدَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ أَبَدًا أَوْ أَنّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ بَلْ حَصَلَ هَذَا بِغَيْرِ قُدْرَتِهِ وَلَا مَشِيئَتِهِ، ثُمّ جَعَلَ الْمُبَدّلِينَ لِدِينِهِ مُضَاجِعِيهِ فِي حُفْرَتِهِ تُسَلّمُ أُمّتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كُلّ وَقْتٍ، **كَمَا تَظُنّهُ الرّافِضَةُ**، فَقَدْ ظَنّ بِهِ أَقْبَحَ الظّنّ وَأَسْوَأَهُ، سَوَاءٌ قَالُوا: إِنّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ

يَنْصُرَهُمْ وَيَجْعَلَ لَهُمْ الدَّوْلَةَ وَالظَّفَرَ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَهُمْ قَادِحُونَ فِي قُدْرَتِهِ أَوْ فِي حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَذَلِكَ مِنْ ظَنِّ السَّوْءِ بِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الرَّبَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بَغِيضٌ إِلَىٰ مَنْ ظَنَّ بِهِ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَفْعَلَ خِلَافَ ذَلِكَ، لَكِنْ رَفَوْا هَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدَ بِخَرْقٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَاسْتَجَارُوا مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، فَقَالُوا: لَمْ يَكُنْ هَذَا بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَلَا لَهُ قُدْرَةٌ عَلَىٰ دَفْعِهِ وَنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَفْعَالِ عِبَادِهِ، وَلَا هِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، فَظَنُّوا بِهِ ظَنَّ إِخْوَانِهِمْ الْمَجُوسِ وَالثَّنَوِيَّةِ بِرَبِّهِمْ، وَكُلُّ مُبْطِلٍ وَكَافِرٍ وَمُبْتَدِعٍ مَقْهُورٍ مُسْتَذَلٍّ فَهُوَ يَظُنُّ بِرَبِّهِ هَذَا الظَّنَّ، وَأَنَّهُ أَوْلَىٰ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَالْعُلُوِّ مِنْ خُصُومِهِ.

فَأَكْثَرُ الْخَلْقِ، بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ، نَاقِصُ الْحَظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَىٰ التَّصْرِيحِ بِهِ، **وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاهَا رَأَىٰ ذَلِكَ فِيهَا كَامِنًا كُمُونَ النَّارِ فِي الزِّنَادِ، فَاقْدَحْ زِنَادَ مَنْ شِئْت يُنْبِئْك شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ.**

وَلَوْ فَتَّشْت مَنْ فَتَّشْته لَرَأَيْت عِنْدَهُ تَعَتُّبًا عَلَىٰ الْقَدَرِ، وَمَلَامَةً لَهُ، وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَىٰ بِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَك هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ!

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَلِيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَىٰ كُلِّ سُوءٍ، وَمَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ، الْمُرَكَّبَةُ عَلَىٰ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، فَهِيَ أَوْلَىٰ بِظَنِّ السَّوءِ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَأَعْدَلِ الْعَادِلِينَ، وَأَرْحَمِ الرّاحِمِينَ، الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ، الَّذِي لَهُ الْغِنَىٰ التَّامُّ، وَالْحَمْدُ التَّامُّ، وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سُوءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَذَاتُهُ لَهَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْعَالُهُ كَذَلِكَ كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلّهَا حُسْنَىٰ.

فَلَا تَظْنُنَّ بِرَبِّك ظَنَّ سَوْءٍ ... فَإِنَّ اللهَ أَوْلَىٰ بِالْجَمِيلِ
وَلَا تَظْنُنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا ... وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْوَىٰ كُلِّ سُوءٍ ... أَيُرْجَىٰ الْخَيْرُ مِنْ مَيْتٍ بَخِيلِ
وَظُنَّ بِنَفْسِكَ السُّوآىٰ تَجِدْهَا ... كَذَاكَ وَخَيْرُهَا كَالْمُسْتَحِيلِ
وَمَا بِكَ مِنْ تُقَىٰ فِيهَا وَخَيْرٍ ... فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ
وَلَيْسَ بِهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ ... مِنْ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ». اهـ.

وإن من الحقائق التي لابد أن نفقهها: أن أعداءنا يعلمون بانتصار هذا الدين وأتباعه، ولكن يعلمون أيضًا ما هي صفات الذين سينتصر بهم هذا الدين؛ ولهذا هم يعملون علىٰ تأخير هذا النصر كما يزعمون؛ وذلك بالكيد للمسلمين من خلال تزييف عقائدهم، وتشكيكهم في دينهم،

وغمسهم في الشهوات والشبهات.

ولكن علينا أن نعلم يقينًا أن النصر لا يتأخر أبدًا، وإن قال هذا البعض؛ ولكن النصر له شروطه وأسبابه، فمتىٰ ما توفرت أسباب النصر ومقوماته جاء نصر الله مباشرة، ولكن العيب والخلل فينا، والتقصير والتأخر منا، وإلا فالله أعلىٰ وأجل.

فانفُضوا عنكم غبار الدَّعة والسكون، وارفضوا شعار الذل والهوان، واعملوا لنصرة هذا الدين، فعند كل واحد منا ما يقدمه لهذا الدين العظيم، فما بقي إلا أن تفتش في نفسك ما الذي بإمكانك أن تقدمه لدين الله تعالىٰ، **فاللهَ اللهَ أن يُؤتَىٰ الإسلام من قِبَلكِ!**.

فالمرأة في خِدْرِها قارَّةٌ في منزلها، تكفي الأمة فِتْنَتَها(١)، تُربِي الأجيال المؤمنة الصادقة الصابرة المجاهدة، وتطيع زوجها في طاعة الله جل وعلا(٢)، فهي راعية في المنزل الذي هو مملكتها، والأب عليه قوامة

---

(١) كما في «صحيح مسلم» عَنْ أَبِىٰ سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**».

(٢) جاء في السنن الكبرىٰ للنسائي ومسند أحمد والموطأ وغيرهم من طريق بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ الْحُصَيْنَ بْنَ مِحْصَنٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ لِحَاجَةٍ لَهُ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا: «**أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ**»، قَالَتْ: نَعَمْ. فَزَعَمَ أَنَّهُ قَالَ: «**كَيْفَ أَنْتِ لَهُ**». فَقَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ. قَالَ: «**فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ**».

منزله، والغيرة علىٰ أهله، والاحتساب علىٰ زوجته وأولاده، فيراقب دينهم، ويرقب سيرهم إلىٰ الله تعالىٰ، أعظم من اهتمامه بدنياهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

فهي مؤسسة مشتركة، مهمتها العظمىٰ بناء الأمة من الداخل، وتهيئتها لقيادة العالم إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، لتحقق معنىٰ الخيرية التي وصف الله تبارك تعالىٰ بها هذه الأمة(١)، فهي مصنع الأجيال ومُخَرِّجَةُ الرجال.

ففي «الصحيحين» عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِىٰ عَلَىٰ النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَىٰ بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَىٰ مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

فالجميع مسئول عن دينه، وعليه واجب تجاهه، فرجل بماله، وامرأة بصدقتها، والعالم بعلمه، وطالب العلم بالصبر علىٰ هذا العلم الشريف، فهو عالم الغد، والأمة بأمسِّ الحاجة إلىٰ جهده وجهاده، وداع

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

بدعوته بعلم وبصيرة، ورجل بقلمه، وآخر يعمل علىٰ توزيع الكتب والمطويات، وآخر بطباعتها، وآخر ببث الصوتيات العلمية والوعظية المنضبطة بضابط الشرع، وجماعة تحتسب علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا فالكل عليه دور منوط به، فالله الله في سد الثغرات، والحذر الحذر أن يؤتىٰ الإسلام من قِبَلِك، فضلًا عن أن تكون مِعْوَلَ هَدْمٍ في هذه الأمة، كالمنافقين ودعاة جهنم، الذين ينخرون في الأمة، إرجافا وبَثًّا للخبائث والفواحش، فهم ذراع الشيطان، ورايات الكفر ودعاته في بلاد المسلمين، وقد جاء التحذير منهم(١).

---

(١) كما في «الصحيحين» من طريق بُسْرِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**».



• نداء خاص لشباب هذه الأمة الفتية:

وأنتم معاشر الشباب عليكم دور عظيم في نصر هذا الدين، فأنتم أمل الأمة وفُتُوَّتُها، بحول الله تعالىٰ وقوته، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فالله الله أن تقصروا أو يؤتىٰ الإسلام من قبلكم، وإياكم والاغترار بالشهوات، والولوغ في الشبهات، والانْفِتان ببهرج الحضارة الغربية الزائفة(١)، ففي دينكم أعظم الحضارات، وأروع الأمثلة في البطولة

---

(١) تلك الحضارة المأفونة الكافرة الداعرة الخبيثة، التي حرص أهلُها علىٰ أن يتعرفوا علىٰ كل شيء، ألا أنهم لم يعرفوا الله رب العالمين، ولم يهتدوا إليه ﷻ، بل حاربوا شرعه، وتنكَّروا للرسالة الخاتمة، وحاربوا أولياء الله؛ حيث فرحوا بما عندهم من العلم، أسوة بأشباههم، الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٨٣ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾ [غافر: ٨٣ – ٨٥].

مع أن الله تعالىٰ لا يُؤتِي هذا العلم إلا لِيُهْتَدَىٰ به إليه، كما قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ۝٥٤﴾ [فصلت: ٥٣، ٥٤]، ولكن القوم ما ازدادوا بهذه العلوم إلا كفرا، ومن الله إلا بعدا، ولم يضروا إلا أنفسهم، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ۝٣٩﴾ [فاطر: ٣٩].

=

والمروءة والتضحيات، وفي كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ العلم الأعظم، وفيهما من كل شيء يحتاجه العباد في أسباب معاشهم وأخبار معادهم، فأقبلوا علىٰ الوحيين واتبعوا سبيل المؤمنين، وتذكروا الشباب الذين قادوا الأمة إلىٰ فتوحات وانتصارات عظيمة، وما تولية النبي ﷺ لأسامة بن زيد في حرب الروم، وهو ابن ثمانية عشر عامًا، إلا إشارة منه ﷺ إلىٰ أهمية الشباب، ودور الشباب الريادي في هذه الأمة، وتذكَّروا الفتية أصحاب الكهف، واعتبروا بحال عبد الرحمن الداخل، وما أجراه الله تعالىٰ علىٰ يديه من الفتح العظيم، والقصص في هذا كثيرة جدًّا، فما عليكم إلا أن تستشعروا حقيقة الأمر، وخطورة المسألة، فتقبلوا علىٰ ربكم ودينكم غير هَيَّابين ولا متوانين، والله معكم ولن يخذلكم إن صدقتموه ﷻ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥].

= فجاءت حضارتهم شوهاء بكماء صماء، فكان نتاجها انتشار العري والفواحش والمنكرات، وفوق ذلك الشرك والكفر بالله رب العالمين، والإلحاد في أبشع صوره، فقادت العالم إلىٰ الخوف والجوع والمسغبة والحروب الطاحنة، وانتشر فيها سفك الدماء البريئة، وتقتيل الولدان، وهتك الأعراض، ونشر الرذيلة ومحاربة الفضيلة، وسادت فيها شريعة الغاب، مليئة بالمخططات والمكر الكبَّار بأهل الإيمان وبالبسطاء والضعفاء، فأي حضارة هذه؟! إنما هي الدمار والهلاك والبوار! فإياك إياك أيها المسلم من الاغترار!



وما أحسن ما قاله المتنبي:

عجبت لمن له حدٌّ وقدٌّ ... وينبو نَبْوة القضم الكهام

ومن يجد الطريق إلىٰ المعالي ... فلا يذر المطي بلا سنام

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين علىٰ التمام

وما أحسن ما قاله الطغرائي الأصفهاني في قصيدته اللامية:

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها ... فهل سمعت بظل غير منتقل

قد رشحوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعىٰ مع الهمل

وكما قال المتنبي:

علىٰ قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي علىٰ قدر الكرام المكارم

وإيانا أن نستشعر الإحباط والخور، لصولة مؤقتة للباطل، انتفش فيها، ابتلاءً من الله تعالىٰ بما كسبت أيدينا، وَلْنَقُل كما قال الصحابة الكرام رضي الله عنهم يوم الخندق يوم الأحزاب، عندما اشتد الأمر، وعَظُمَ الكرب، واحمرت الحدق، وبلغت القلوب الحناجر، ورمتهم العرب عن قوس واحدة، كما وصفهم الله تبارك وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، فما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا، وثباتًا عظيمًا، وانظر ما قال الله تعالىٰ في صفتهم في هذا الوقف الرهيب المهيب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا

وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾﴾، ثم قال تعالىٰ بعدها مباشرة في وصفهم وكيف نصرهم وكبت عدوهم: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢-٢٧].

وإن المتأمل بعين البصيرة الشرعية ليرىٰ أن الكفار في مرحلة التَّحَسُّر علىٰ ما أنفقوا من أموال طائلة لصد الناس عن سبيل الله، ولإطفاء نور الله، ولكن هيهات هيهات، خابوا وخسروا، ونحن نتربص بهم مكر الله العظيم القوي العزيز المتين، أن يغلبهم، وأن يجعلنا ممن يستعملهم في نصرة دينه، ودحر أعدائه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، فالنصر قد قرب تحققه بإذن الله تعالىٰ.

***



خامسًا
عظمة التاريخ وخطورته

لنا أمة الإسلام تاريخ عظيم سطرته الدنيا بمداد من نور، تاريخ إمامُه، وقائِدُه، وفارسه الفذ الفريد سيد ولد آدم نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تاريخ سطرته بطولات الصحابة، حتىٰ تشرف الزمان كله بمثل هذا التاريخ التليد العظيم.

هذا التاريخ الذي يحكيه الزمان، وتشهد له الأجيال بالعز والكرامة قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، تشهد له الأمم قاطبة -حتىٰ الأعداء- بالصدق والثبات.

إنه سيرة النبي المبارك المختار، وصحابته الكرام الأبرار، تاريخ مليء بالعظات، والعبر، والشجاعة، والرجولة، والإقدام، تاريخ لو أننا رجعنا إليه واستقينا ما فيه من القيم العظيمة، والمواقف الجليلة؛ لما كان هذا حالنا، ولما تسلط علينا أعداؤنا، فنحن أمة العزة والكرامة، أمة الجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة، أمة لا تعرف اليأس، ولا تقر الذل، ولا تعطي الدنية في دينها.

يحكي لنا هذا التاريخ المجيد الثبات العظيم علىٰ المبادئ الإسلامية المقدسة، تلك المبادئ التي ضحَّىٰ الأبطال من أجل قيامها بالغالي والنفيس؛ فاسترخصوا الأموال والأولاد، بل والأنفس في سبيل إعلائها، وتشييدها، وتثبيتها؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ، وحتىٰ لا يكون في الأرض سلطان غير سلطان الله الواحد القهار.

ولكن عباد الله متىٰ نرجع إلىٰ هذا التاريخ؛ لنقرأه بتمعن وتدبر لاستنباط المعاني العظيمة التي كانت في سيرة الرسول ﷺ، وصحابته الكرام؟!.

متىٰ نرجع إلىٰ تلك المواقف البطولية التي سطرها الصحابة، وعاشوها علىٰ أرض الواقع؟!.

متىٰ نرجع إلىٰ السيرة النبوية، والحنكة الصديقية، التي ظهرت في مواقفه العظيمة، وثباته الكبير أمام المحن العظيمة، عندما مات النبي ﷺ، وارتد من ارتد من العرب، وعند تسيير جيش أسامة في أحلك الظروف، وأشد المحن التي مرت علىٰ الإسلام، والمسلمين بعد موت نبي الهدىٰ والرحمة عليه الصلاة والسلام؟!.

ومتىٰ ننظر في السياسة العمرية التي قاد بها أمة الإسلام رضي الله عنهم وأرضاه؟!.

متىٰ نرجع إلىٰ سِيَرِ الصحابة الكرام الأبطال الأفذاذ، من أمثال عثمان بن عفان ذي النورين، وعلي بن أبي طالب الشجاع الكبير المطالب [يراجع]،



وغيرهم من الصحابة الكبار العظام رضي الله عنهم وأرضاهم؛ لنعرف أحوالهم كبارًا وصغارًا، ذكورًا وإناثا، لنأخذ منها المعاني العظيمة؟!.

التي ما كانت لتكون على الرفوف، وفي طَيَّاتِ الأوراق وبطون الكتب، وما كانت لتروى للتفكه والسمر، والتأسف والتألم فحسب، وإنما كانت لتكون برهانًا واقعيًّا، وحجةً من الله تعالى علينا في تطبيق شرعه من عدمه، والقيام بهذا الدين العظيم.

إن هذا التاريخ - عباد الله - له رصيدٌ عظيمٌ في القلوب، وإنه لِمَن الظلم العظيم أن نرى من المسلمين من يتفقه على تاريخ بريطانيا، وأمريكا، وروسيا، والصين، وغيرها من بلاد الكفر، والصليب، بل ويحفظ الكثير الكثير عن هؤلاء الطواغيت وغيرهم، في حين أنه لا يكاد يعرف إلا نزرًا يسيرًا عن هؤلاء الصحابة الكرام الأبطال الكبار، حتى إنه أصبح الآن ليس بمستغرب في بعض بلاد المسلمين أن تسأل بعضهم عن أسماء عظماء الإسلام، من أمثال الخلفاء الأربعة الراشدين، وباقي العشرة المبشرين بالجنة؛ فلا تجد من يجيب إلا من رحم الله، بل ولو سألت عن شيء من سيرة النبي ﷺ وجهاده؛ لضرب الكثير أخماسًا بأسداس، ولَقَلَّبُوا أيديهم؛ فلا يعون من ذلك شيئًا إلا من رحم الله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من هذا الغياب الكبير عن أعظم تاريخ عرفه الزمان.

إن هذا التاريخ العظيم لهذه الأمة الخاتمة لو كان لأي أمة من الأمم؛ لتبجحت به، واعتزت، ورفعت رأسها شامخًا، تنادي بالعودة إليه،

ولَنُظِمَت الأقوال، والأشعار في بيانه، وتمجيده، وكيف وهو لنا؟، فأين نحن عن هذا التاريخ العظيم؟!.

نحن أمة لها تاريخ مشرق مجيد لابد أن نرجع إليه، ونستقي منه؛ فكتب الحديث وآثار الصحابة تحكي تاريخ وحياة أعظم قدوة علىٰ الإطلاق، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وآثار التابعين رحمهم الله تعالىٰ تحكي لنا تاريخ أفضل أتباع الرسل، الصحابة الكرام البررة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ فمتىٰ نرجع إلىٰ تلك الموروثات الجليلة العظيمة؛ حتىٰ نطبقها ونعمل بها في واقعنا؟!.

أقول عباد الله: إن الرجوع إلىٰ التاريخ، ومعرفة ما جرىٰ مع النبي ﷺ، وصحابته الكرام البررة، لهو من أكبر العوامل التي تعين العبد علىٰ الثبات، والاستعلاء بإيمانه، والسير قُدُمًا علىٰ نهج النبي ﷺ، وإن الرجوع إلىٰ تاريخ الصالحين، والاقتداء بهم، والتماس الصبر، والسلوان من خلال النظر في ما جرىٰ عليهم، هو من هدي النبي ﷺ.

كما أخرج البخاري في «صحيحه» عَنْ أبي عبد الله خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شكونا إِلَىٰ رَسُول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظلِّ الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟، فقال: «**قد كان مَنْ قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، ثم يؤتىٰ بالمِنْشار فيوضع عَلَىٰ رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عَنْ دينه! والله ليتمن الله هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب مِنْ صنعاء إِلَىٰ حضرموت لا يخاف إلا**

الله، والذئب عَلَىٰ غنمه، ولكنكم تستعجلون!». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وفي رواية: «**وهو متوسد بردة، وقد لقينا مِنْ المشركين شدة**».

فهاهو النبي ﷺ عندما شكا إليه الصحابة رضي الله عنهم ما يجدونه من الجهد الشديد، والأذىٰ العظيم من الكفار، من تضييق، وتعذيب، ومن تكالب أمم الأرض كلها عليهم حتىٰ رموهم عن قوس واحدة علىٰ قلة عددهم وضعف شوكتهم؛ فردهم النبي ﷺ إلىٰ تاريخ الصالحين من قبلهم، وبين لهم أن هذه سُنَّةٌ لله جارية في عباده الصالحين، ولكنها ما تلبث أن تنقشع أمام صلابة إيمانهم، وثباتهم علىٰ مبادئهم، واستعلائهم بإيمانهم؛ حتىٰ تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣].

- **فوعد الله حاصل لا محالة.**

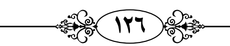
ولقد قص الله تبارك وتعالىٰ علينا القصص في كتابه العزيز، مما جرىٰ علىٰ الأمم السابقة؛ لنتعرف علىٰ ذلك، ونستقي منها الهدايات، والعبر، والمواعظ، كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ١-٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠﴾ [هود: ١٠٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠﴾ [هود: ١٢٠].

إذن؛ إذا أردنا عزتنا فلابد أن نرجع إلىٰ هذا الماضي العظيم، فننظر في تاريخ الرعيل الأول رضي الله عنهم وأرضاهم، وأن نحول واقعهم الذي عاشوه إلىٰ واقع نعيشه نحن أيضًا؛ مهما تكالبت الأعداء علينا، أو توجهت الأنظار، والأقوال إلينا بالسخرية والاستهزاء؛ فالواجب علينا ألا نكترث لهذه التُّرَّهات كلها، وأن نرفع رأسنا شامخًا فرحين بفضل الله علينا أن مَنَّ علينا بهذا التاريخ العظيم؛ فنرتفع به علىٰ سائر الأمم؛ فإن في تاريخنا من



أخبار الكرامة والعزة ما لا يحويه تاريخ من قبل بحال من الأحوال!

فهاهي أخبار العلماء الصادعين بالحق، والحفاظ، والعباد، والزهاد، والكرماء، والشجعان، والأبطال، والسلاطين الفاتحين، والأئمة المتبوعين!

ولكن أين مَن يقرأ ليعمل ويتفكر ليعتبر؟!.

فإن بني عمك فيهم رجال، ولكن الله المستعان!.

ولهذا لما حصل هذا الخلل، والإعراض عن هذا التاريخ المجيد، وفهم حقائق هذا الدين العظيم، واستشعار العز والكرامة، والاستعلاء به؛ ظهر بين المسلمين من يتنكر لهذا الدين، بل لربما استحيا من الانتساب إليه، وإلىٰ حقائقه، ومبادئه التي لا تتغير، ولا تتبدل بتغير الزمان، والأحوال.

وظهرت طوائف أخرىٰ تلوي أعناق الأدلة، وتقلب الحقائق الإسلامية، وتزيفها، وتتنصل من الصدع بشرف واعتزاز بحقائق الإسلام؛ إرضاءً للشرق أوالغرب، وارتماءً في أحضانهم، في انهزامية منقطعة النظير.

بل إن الأمر وصل عند بعضهم إلىٰ أن يُكَذِّبَ ويرد بعض الأحاديث الصحيحة، والآيات الصريحة الدلالة، قائلًا بعضهم بلسان حاله، وبعضهم بلسان مقاله: ماذا نقول للغرب إن سألونا عن هذه الآيات والأحاديث؟!، كيف نرد عليهم؟!.

والله إنها لثالثة الأثافي، وقاصمة الظهور يوم أن نتنكر لمسلَّماتنا،

ونغير مبادئنا نحن أهل «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، من أجل أقوام ما لهم عند الله من خلاق!

ونحن نقولها بكل صراحة، وثبات، ويقين: إنه لو اجتمعت الإنس والجن علىٰ أمر فيه خلاف شرعنا؛ لما استحيينا من الجهر بحقائق ديننا، استعلاء بإيماننا، واعتزازًا بمبادئنا، ولنا في ذلك الشرف كل الشرف، وسنستعلي بذلك علىٰ سائر الأمم، وسنصدع به علىٰ منابر الزمن، ليسمعه الداني والقاصي.

فنحن أمة تعبد ربها وحده لا شريك له، ولا تجامل، ولا تداهن، ولا تحابي علىٰ حساب دينها، ولا تعطي الدنية في دينها، ولا ترتضي بالذل، والهوان مهما كانت التكاليف، ولكن متىٰ نعي هذا، ومتىٰ نستعلي بتاريخنا وإيماننا؟!، هذا هو دين الله الذي ارتضاه لنا من فوق سبع سموات، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

أفلا نعتز به، ونرتضيه لأنفسنا، وأن ندخل فيه كافة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

هذا هو ديننا، وهذه هي مبادئه، وهذه هي مسلَّماتنا التي لا تتغير ولا



تتبدل، فإما أن نرفع رءوسنا بهذا الدين المجيد، ونرتضيه لأنفسنا، وإلا كانت الهَلَكة، والخسارة، والعياذ بالله.

وإنَّ ما نحن فيه اليوم من التخلف والتقهقر ما هو إلا بسبب عدم الفهم الحقيقي لحقائق هذا الدين؛ ولهذا كثر فينا الكُتَّابُ الانهزاميون، والإعلاميون الانهزاميون، وكثر فينا التخليط والتخبط، ومَن يحاول بشكل أو بآخر أن يتنصل عن حقائق الإسلام، وأن يتنكَّر لمبادئه العظام؛ وذلك بسبب الذل والخور، الذي سكن في تلك القلوب المريضة، التي لم تستنر بنور الإيمان، ولم تستعل بالإسلام؛ لأنها أصلًا لم تعيه حق الوعي، ولم تفهمه بَعْدُ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

فقد تكلمت الرويبضة في هذا الزمان، وأخذوا ينسبون ساقط أقوالهم، وحثالة أفكارهم وآرائهم، ونحاتة عقولهم إلىٰ الكتاب والسنة، زورًا وبهتانًا، وتنصُّلًا من الصدع بكلمة تجرح مشاعر العدو، أو تظهرنا أمامهم بالمظهر غير اللائق في أنظارهم، ولو كان ذلك علىٰ حساب الكتاب والسنة، ومقدَّرات المسلمين، ومكتسباتهم، وتاريخهم المجيد.

وتعظم المصيبة والفتنة بأمثال هؤلاء عندما يغتر الناس بما معهم من الألقاب، والأوسمة، والشهادات، فهذا وزير، وذاك أمير، وذاك بروفسير، وهذا دكتور، وهكذا يطرح الناس الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة الأطهار الأخيار، ليأخذوا بأقوال هؤلاء المفتونين؛ فينبهرون بلحن قولهم وحثالة أفكارهم، ونحاتة عقولهم، فإياكم وإياهم، فإنهم فتنة لكل مفتون،

نسأل الله العافية والسلامة منهم ومن أمثالهم.

ولهذا قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم». أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه». فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!.

وفي «صحيح الإمام مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم!**». وفي رواية: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون؛ يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم! لا يضلونكم، ولا يفتنونكم**».

ولمَّا شعر الأعداء بخطورة تاريخنا المجيد، وأنه تاريخ كفيل بإذن الله تعالىٰ أن يصنع جيلًا فريدًا، وأن يحيي أمة نامت لفترة من الزمان، وأن يخرج رجالًا من طراز فذ عجيب، حاولوا جاهدين أن يزوِّروا حقائق هذا التاريخ، ويبدلوا فيه بالزيادة، والتحريف، والنقصان، والتأويلات الفاسدة، والطعن في النوايا، وصرف الحقائق عن وجهها المشرق الوضَّاء، فانبرىٰ أهل العلم لذلك، وأثبتوا تاريخًا عظيمًا، سطرته يد الكرامة والشجاعة والبسالة.

ولنعلم جميعًا أن أمة لا تاريخ لها، هي أمة لا مستقبل لها، فإنما تُقاد الأمم بِقُدُواتِها، فهم محل ثقتها، وإليهم ترتفع الأبصار، فكيف بتاريخ قدواته محمد عليه الصلاة والسلام، وصحابته البررة الكرام، ثم العلماء الراسخون، والدعاة والمصلحون، والشهداء والصديقون.

فعَوْدًا معاشر المسلمين والمسلمات إلىٰ تاريخكم المجيد، تعرفوا عليه بحق، واعملوا بمقتضاه، فإن أبيتم فاحذروا من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ولا تنسوا قول الله جل وعلا: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

وما أحسن ما قال الشاعر:

نحــن أمــة تاريخهــا ذو خطــر   لــو تأملــناه مــا كــان الخطــر

سادسًا:
تميزُ المسلم بشخصيته
وطريقة حياته وسلوكه ومنهجه

أنت أيها المسلم فذ فريد، عظيم المكانة عند الله تبارك وتعالىٰ، فأنت عند الله أعظم حرمة من الكعبة المشرفة، دمك غال نفيس، وحياتك متميزة، ومنهجك مرسوم لك بكل وضوح وبيان؛ قد وضح معالمه كتاب الله تعالىٰ، وقدوتك فيه رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام البررة؛ فلابد أن تستعلي بهذه الشخصية العظيمة المنفردة في لباسها، وفي هيئتها، وفي مظهرها العام، بل وفي طريقة تفكيرها، وأسلوب حياتها؛ فهذا من أهم الأمور التي يجب أن يستعلي بها المسلم علىٰ سائر أمم الكفر في مشارق الأرض ومغاربها.

فهو المسلم أينما رأيته عرفته بتميزه، واستقلاليته، واعتزازه بدينه ومبادئه، فلا تراه إلا مخالفًا لمن سواه من الكافرين، والمشركين، فلا يتشبه بهم لا في مبادئهم، ولا في طريقة حياتهم، ولا أسلوب تفكيرهم، بل ولا حتىٰ في لباسهم.

لسان حاله يقول: أنا المسلم الذي يعبد الله ربًّا واحدًا أحدًا، ونبيي هو محمد ﷺ خير خلق الله هو أسوتي، وإمامي، وقائدي، وديني هو

الإسلام خير الأديان، قد رضيه لي رب الأنام، فكيف أرتضي أن أتشبه بإخوان القردة والخنازير، ومَن لا خلاق لهم؟، كلا وألف كلا، والذي نفسي بيده لا يكون هذا أبدًا بإذن الله تعالىٰ، وفي الجسد نَفَس يتردد، وقلب ينبض، والله المستعان، وعليه التكلان!

ولهذا حرص النبي ﷺ أن يرسخ هذه القضية لدىٰ أصحابه، والأمة من بعدهم، فأوصاهم، وحثهم، وأمرهم ألا يركنوا إلىٰ الظالمين طرفة عين لا مظهرًا، ولا مخبرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

وطبق ذلك النبي ﷺ تطبيقًا عمليًّا، فعمد إلىٰ مخالفتهم في كل صغير وكبير، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد بين الله تعالىٰ أن الكفار يتمنون، ويفرحون أن لو تنازلنا، ولو شيئًا يسيرًا عن مبادئنا الإسلامية، فقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ٨-١٣]. نعم ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾، نعم إنهم يتمنون ذلك، وتنشرح صدورهم به.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

ولهذا نهىٰ الله تبارك وتعالىٰ عن مجرد الركون إليهم، بل وأمر

بوجوب مفارقتهم، ومزايلتهم حال خوضهم الباطل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

كل هذا وغيره كثير مما يأمر فيه الله تبارك وتعالىٰ المسلم أن يكون متميزًا مستقلًا عن أعداء الله، قال تعالىٰ: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ولتستبين سبيل المؤمنين، من سبيل الكافرين، والفاجرين.

ولهذا كان من أعظم شعائر هذا الدين ومبانيه العظام عقيدة الولاء والبراء، التي لا تقوم للإيمان قائمة في قلب العبد بدونها، وهذه العقيدة هي التي تبعث روح العزة والتميز، لدىٰ المسلم المستعلي بإيمانه؛ ولهذا أبدىٰ الشارع الحكيم فيها وأعاد، وجاءت الآيات المتكاثرة والأحاديث المتظافرة للتأكيد علىٰ هذا المعنىٰ العظيم، وترسيخًا لهذه القضية الكبرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ

حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي «صحيح الإمام مسلم» من حديث أبي مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ الله**».

وجاءت الأوامر الصارمة في مفارقة أعداء الله تعالىٰ وعدم التشبه بهم، وعدم مساكنتهم، والمكوث معهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنه في ذكر آخر وصايا النبي ﷺ وأنه قال: «**أَخْرِجُوا المشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**».

وفي «صحيح مسلم» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، حتىٰ لا أدع إلا مسلمًا**».

وأخرج الترمذي وأبو داود وغيرهما من حديث جَرِيرِ بنِ عبدِ الله:

أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلىٰ خثعم، فاعتصم ناس بالسجود فأسرع فيهم القتل فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل، وقال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»، قالوا: يا رسول الله، ولم؟، قال: «**لا تراءىٰ ناراهما**»(١).

وقد أمعن النبي ﷺ في مخالفة أعداء الله، حتىٰ صار ذلك واضحًا جليًّا لأصحابه، بل وللأعداء كذلك.

فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾ إلىٰ آخر الآية [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يَدَع من أمرنا شيئًا إلا خَالَفَنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول: كذا وكذا. فلا نجامعهن؟، فتغير وجه رسول الله ﷺ حتىٰ ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلىٰ النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما، فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما(٢).

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**خالفوا المشركين: وفروا**

---

(١) ولكن رجح البخاري وأبو حاتم وأبو داود والترمذي والدارقطني إرساله، ولكن معناه صحيح.

(٢) أخرجه مسلم.



اللحىٰ، وأحفوا الشوارب»(١).

وفي «الصحيحين» عن سعيد بن يزيد الأزدي، قال: «سألت أنس بن مالك: أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟، قال: نعم».

وروىٰ أبو داود والحاكم من حديث شداد بن أوس مرفوعًا «**خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا خفافهم**». وظاهر إسناده الحُسْن.

وفي «مسند» الإمام أحمد عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: خرج رسول الله ﷺ علىٰ مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال: «**يا معشر الأنصار، حمروا، وصفروا، وخالفوا أهل الكتاب**» قال: فقلنا: يا رسول الله، إن أهل الكتاب يتسرولون، ولا يأتزرون فقال رسول الله ﷺ: «**تسرولوا، وائتزروا، وخالفوا أهل الكتاب**» قال: فقلنا: يا رسول الله، إن أهل الكتاب يتخففون، ولا ينتعلون قال: فقال النبي ﷺ: «**فتخففوا، وانتعلوا، وخالفوا أهل الكتاب**» قال: فقلنا: يا رسول الله، إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم، ويوفرون سبالهم قال: فقال النبي ﷺ: «**قصوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب**». **وسنده جيد.**

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بالسيف، حتىٰ يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»(٢).

قال ابن تيمية معلقًا علىٰ هذا الخبر: «وهذا الحديث أقل أحواله أنه

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد، وسنده حسن، وفيه اختلاف، ومعناه صحيح.

يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: من بنىٰ بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتىٰ يموت، حشر معهم يوم القيامة»[(١)]. اهـ.

والأحاديث الدالة علىٰ هذا الأصل العظيم كثيرةٌ جدًّا، وقد أفرد لها الإمام البحر الحبر العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية مؤلفًا كاملًا، حَرِيٌّ بنا أن نقرأه، ونتمعن فيه أسماه: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم»، قرر فيه هذه المقامات الكبيرة، وذكر فيه جملة من الآيات، والأخبار، والآثار فيما يتعلق بوجوب استقلالية المسلم عن أعداء الله، وتميزه واعتزازه بربه، وبدينه، وبنبيه ﷺ، وقد تكلم فيه وأفصح، وبين بما لا مزيد عليه من كلام الناس اليوم، حتىٰ في أدق التفاصيل فيما يتعلق بلغاتهم، وأشكالهم، وهيئاتهم، وتوليتهم المناصب، والأعمال، وغير ذلك، وأحيلك أخي القارئ الكريم علىٰ هذا السِّفْرِ العظيم في بابه.

نعم هكذا تكون شخصية المسلم المتميزة الواضحة المعالم في كل شئون حياتها، فالمسلم الحق هو صاحب الاستقلالية التامة عن أعداء الله تعالىٰ، وهو صاحب الحظ الأوفر من العزة، والكرامة، والتمكين. أما المنهزمون اللاهثون وراء الغرب، فهؤلاء لا حظ لهم من هذه العزة، بل هم الأذلون الخاسرون، هذه هي سنة الله تعالىٰ في أمثال هؤلاء.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم».



قال تعالىٰ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

سابعًا
التزكيةُ الرَّبانيةُ للمنهج

إن من أعظم ما يبعث علىٰ استشعار العزة، والاستعلاء بالإيمان، تلك التزكية الربانية لهذا المنهج القويم، والصراط المستقيم، الذي أثنىٰ الله تعالىٰ عليه من فوق سبع سموات، وحث عباده علىٰ السير فيه وسلوك طريقه؛ حيث قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وبين تبارك وتعالىٰ عظمة ذلك الصراط بقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

وبين تبارك وتعالىٰ أن الهدىٰ التام في سلوكه واتباعه فقال عز من قائل عليمًا: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

[المائدة: ١٥، ١٦].

وهو ملة أبينا إبراهيم ونبينا الأمين -عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم- هذا هو صراط الله المستقيم، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

[الأنعام: ١٦١-١٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ١-٥].

وهو دعوة الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ۝٧٤﴾ [المؤمنون: ٧٣، ٧٤].

ولهذا امتن الله تعالىٰ بهذا الصراط علىٰ عباده، وبين أنه من أعظم نعمه عليهم؛ حيث قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورىٰ: ٥٢، ٥٣].

ولهذا أمر الله تبارك وتعالىٰ عباده بالحرص عليه والاعتزاز والاستمساك به، فقال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ۝٤٤ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٥].

وبيَّن تعالىٰ أنهم ليسوا سواء، فقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٢﴾ [الملك: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٦﴾ [النحل: ٧٦].

وبين تبارك وتعالىٰ أن هذا الطريق طريق مزكًّى، وأنه هو الطريق الذي

سلكه الأنبياء والمرسلون، والأولياء، والصالحون، والشهداء، والمتقون، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٣-٩٠].

فارفع رأسك عاليًا، فأنت مدعو إلىٰ سبيل سلكها هؤلاء الأشراف الكبار، فلا تستبدله بالرخيص الخسيس، والعَرَض الفاني المهين.

ولهذا أمر الله تبارك وتعالىٰ عباده أن يسألوه الهداية إلىٰ هذا الطريق؛ حتىٰ صار فرضًا علىٰ العباد أن يقرءوا في جميع صلواتهم سورة الفاتحة، وفيها قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

وكل هذا مما يؤكد أن هذا الطريق ليس بمبتذَل، بل هو غال نفيس ليس بمعوَجٍّ، بل هو الصراط المستقيم، والنور المبين فعلينا جميعًا أن نعتز به، وأن نسير في ركابه، مهما كانت الظروف والتبعات، ولا يهولنك كثرة المخالفين، وتكالب الباطل، وقلة السالكين، بل علينا أن نمضي قدمًا، حتىٰ نلقىٰ الله تبارك وتعالىٰ علىٰ هذا المنهج الرباني، فتكون النجاة بإذن الله تعالىٰ، ولا تحزن أخي من كثرة المشنعين، والمستهزئين؛ فإن الحق يعلو ولا يعلىٰ عليه.

وقد أخبرنا النبي ﷺ عن غربة هذا المنهج في آخر الزمان، وأنه سيعود غريبًا بين العباد، إلا أنه ﷺ بشر أن هناك طائفةً لن تزال مستمسكة به ثابتة عليه مجاهدة دونه، كما في «الصحيحين» من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك**».

وفي «صحيح الإمام مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا. فطوبىٰ للغرباء**».

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها**».

وفي «سنن الترمذي» عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟، قال: أية آية؟، قلت:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهَوْا عن المنكر، حتىٰ إذا رأيتَ شحًّا مطاعًا، وهوًىٰ متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض علىٰ الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم**».

قال عبد الله بن المبارك: وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلًا منا أو منهم؟، قال: «**لا، بل أجر خمسين رجلًا منكم**»(١).

ويشهد له ما في صحيح مسلم عن أَبِىٰ هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَىٰ الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**». قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**». فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ**». قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِىٰ كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ. فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**».

ولهذا أمر الله تعالىٰ عباده بالصبر، والثبات علىٰ هذا المنهج المزكىٰ

---

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه أيضًا ابن القيم في «نونيته»، وفي الحديث لين وضعف.

من قبل رب العالمين، ومالك الملك أجمعين، فقال عز من قائل عليمًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فأمر بالمجاهدة، والمصابرة، والبقاء، مرابطين علىٰ هذه الحال العظيمة؛ حتىٰ نلقىٰ الله تبارك وتعالىٰ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾ [الروم: ٦٠].

فنسأله تعالىٰ الثبات علىٰ هذا الصراط المستقيم، حتىٰ نلقاه عليه إنه جواد كريم برٌّ رءوف رحيم وهو ولي ذلك والقادر عليه[1].

***

(١) وقد تكلم الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه «مدارج السالكين» عن مميزات وصفات هذا الصراط المستقيم كلامًا كافيًا شافيًا؛ فليراجع فإنه نفيس ومفيد جدًّا.



ثامنًا
إن الله اشترى فيا فوز البائعين

إن من أعظم ما يدعونا إلىٰ الثبات والاعتزاز بهذا الدين، والاستعلاء به، أن نتذكر ذلك الثمن العظيم الذي وَعَدَهُ الله عبادَهُ المؤمنين الصادقين المتقين، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

قال ابن كثير في «تفسيره»: «أخبر تعالىٰ أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم، وأموالهم -إذ بذلوها في سبيله- بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه؛ فإنه قَبِلَ العِوض عما يملكه بما تفضل به علىٰ عبيده المطيعين له.

ولهذا قال الحسن البصري، وقتادة: «بايعهم واللهِ فأغْلَىٰ ثَمَنَهُم».

وقال شمر بن عطية: ما من مسلم إلا ولله عَزَّوَجَلَّ في عنقه بيعة وَفَّىٰ بها، أو مات عليها، ثم تلا هذه الآية.

وقال عبد الله بن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ يعني ليلة العقبة:

اشترط لربك، ولنفسك ما شئت، فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم**»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟، قال: «**الجنة**»، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾.

وقوله: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾ أي: سواء قَتَلوا أو قُتلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وجبت لهم الجنة؛ ولهذا جاء في «الصحيحين»: «**تكفّل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي، وتصديقًا برسلي بأن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلىٰ منزله الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة**».

وقوله: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ تأكيد لهذا الوعد، وإخبار بأنه قد كتبه علىٰ نفسه الكريمة وأنزله علىٰ رسله في كتبه العظيمة وهي ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ المنزلة علىٰ موسىٰ، ﴿وَٱلۡإِنجِيلَ ٣﴾ المنزل علىٰ عيسىٰ، ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ المنزل علىٰ محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾؛ فإنه لا يخلف الميعاد، وهذا كقوله: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٦]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾؛ ولهذا قال: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾؛ أي: فليستبشر من قام بمقتضىٰ هذا العقد، ووفَّىٰ بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم». اهـ.

وسأذكر جملة من الأحاديث التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله،



وإن كانت كثيرة جدًّا، ولكن أنتقي منها ما يلي:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا جهادًا في سبيلي، وإيمانًا بي، وتصديقًا برسلي فهو ضامن علي أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلىٰ منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كَلْمٍ يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، كهيئته يوم كُلِم؛ لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق علىٰ المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة، فأحملهم ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل!**»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل: يا رَسُول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟، قال: «**لا تستطيعونه**»، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، ثم قال: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتىٰ يرجع المجاهد في سبيل الله**»(٢).

وفي رواية البخاري: أن رجلًا قال: يا رَسُول الله، دلني علىٰ عمل يعدل الجهاد. قال: «**لا أجده**»، ثم قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر**»، فقال: ومن يستطيع ذلك!

---

(١) أخرجه مسلم وروىٰ البخاري بعضه.

(٢) متفق عليه. وهذا لفظ مسلم.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول الله ﷺ قال: «**من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، وجبت له الجنة**». فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليَّ يا رَسُول الله، فأعادها عليه، ثم قال: «**وأخرىٰ يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»، قال: وما هي يا رَسُول الله؟، قال: «**الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله**»(٢).

وعن أبي بكر بن أبي موسىٰ الأشعري قال: سمعت أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو بحضرة العدو يقول: قال رَسُول الله ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسىٰ، أأنت سمعت رَسُول الله ﷺ يقول هذا؟، قال: نعم، فرجع إلىٰ أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشىٰ بسيفه إلىٰ العدو فضرب به حتىٰ قُتل(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلىٰ الدنيا وله ما علىٰ الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنىٰ أن يرجع**

---

(١) أخرجه البخاري

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

إلىٰ الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرىٰ من الكرامة» وفي رواية: «**لما يرىٰ من فضل الشهادة**»(١).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة، أتت النبي ﷺ فقالت: يا رَسُول الله، ألا تحدثني عن حارثة -وكان قتل يوم بدر- فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. فقال: «**يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلىٰ**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**»(٣).

والأمة مأمورة باستمرارية الإعداد، والاستعداد للجهاد، سواء في حالة الشدة والرخاء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «**ستفتح عليكم أَرَضُونَ ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**»(٤).

وعن أبي حماد، ويقال: أبو سعاد، ويقال أبو أسد، ويقال أبو عامر، ويقال أبو عمرو، ويقال أبو الأسود، ويقال أبو عبس، عقبة بن عامر الجهني

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُول الله ﷺ وهو علىٰ المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي! ألا إن القوة الرمي! ألا إن القوة الرمي!**»(١).

فما أعظم هذا البيع وما أغلىٰ ذلك الثمن، فلنبع مهما كانت التكاليف، ومهما كانت التبعات، ولنمض قدمًا في دروب العزة والإباء، ولنبذل النفوس رخيصة في سبيل رب الأرض والسماء؛ ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

[النساء: ١٠٤].

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

وبين تعالىٰ أن للمعتزين بدينهم الصابرين الثابتين عليه الأمنَ التام، والاهتداءَ التام في الدنيا والدارِ الآخرة، فقال تعالىٰ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى

---

(١) أخرجه مسلم.

شَيْـًٔاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢].

وفي «صحيح البخاري» عن البراء بن عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يحدث قال: جعل النبي ﷺ علىٰ الرجالة يوم أُحدٍ -وكانوا خمسين رجلًا- عبد الله بن جبيرٍ فقال: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتىٰ أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم**».

فهزموهم قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعاتٍ ثيابهن فقال: أصحاب عبد الله بن جبيرٍ: الغنيمة أي قوم! الغنيمة! ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبيرٍ: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟، قالوا: والله لنأتين الناس، فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم؛ فأقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلًا، فأصابوا منا سبعين، وكان النبيُّ ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومائةً سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا.

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمدٌ؟، ثلاث مراتٍ فنهاهم النبيّ ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟، ثلاث مراتٍ، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟، ثلاث مراتٍ، ثم رجع إلىٰ أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت، والله يا عدو الله، إن الذين

عددتَ لأحياءٌ كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك.

قال: يومٌ بيوم بدرٍ، والحرب سجالٌ؛ إنكم ستجدون في القوم مُثلةً لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز: اعل هبل! اعل هبل! قال النبي ﷺ: «**ألا تجيبوا له**» قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟، قال: «**قولوا: الله أعلىٰ وأجلُّ**» قال: إن لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم. فقال النبيُّ ﷺ: «**ألا تجيبوا له**» قال: قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟، قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولىٰ لكم**».

وفي زيادة للإمام أحمد في «مسنده» من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله، عن ابن عباس، قال: «فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال. قال: فقال عمر: **لا سواءَ؛ قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار**». وهذه زيادة فيها ضعف وشذوذ، ولكن معناها مجمع عليه، والله أعلم.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فأقبلوا عباد الله، علىٰ هذه التجارة الرابحة، ولا تكونوا كالذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

إنها التجارة المُنَجِّيَة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٠ – ١٤].

ولهذا حذرنا النبي ﷺ من نسيان هذه الصفقة الرابحة، ومن الرضا بهذه الحياة الدنيا من الآخرة.

فعن عمرو بن عوف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ البحرين؛ يأتي بجزيتها فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رَسُول الله ﷺ، فلما صلىٰ رَسُول الله ﷺ انصرفوا؛ فتعرضوا له؛ فتبسم رَسُول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين**»، فقالوا: أجل يا رَسُول الله. فقال: «**أبشِرُوا وأمِّلُوا ما يَسُرُّكم، فوالله ما الفقرَ أخشىٰ عليكم، ولكني أخشىٰ أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت علىٰ من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جلس رَسُول الله ﷺ علىٰ المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة**

---

(١) متفق عليه.

الدنيا وزينتها»(١).

وعن المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع!**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا**» قالوا: وما زهرة الدنيا، يا رسول الله؟، قال: «**بركات الأرض**». قالوا: يا رسول الله، وهل يأتي الخير بالشر؟، قال: «**لا يأتي الخير إلَّا بالخير، لَا يأتي الخير إلَّا بالخير، لا يأتي الخير إلَّا بالخير، إن كل ما أنبت الربيع يقتل أو يلم، إلَّا آكلة الخضر؛ فإنها تأكل، حتَّىٰ إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس، ثم اجترت وبالت وثلطت، ثم عادت فأكلت، إنَّ هذا المال خضرة حلوة؛ فمن أخذه بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه، كان كالذي يأكل ولا يشبع**»(٤).

وبهذا نعلم أن من أعظم ما يصرف الناس عن العز والتمكين هو الانغماس في ملاذ هذه الحياة الدنيا الفانية، والركون إليها، ونسيان الدار

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) متفق عليه.

الآخرة ولقاء الله تعالىٰ، فنحن ما خلقنا لنحيا، ولكنا خلقنا لنعبد الله تعالىٰ ثم نموت، ثم نلقاه؛ فيوفينا أجورنا يوم القيامة، بفضله ومَنِّه وكرمه، فضلًا منه وإحسانًا تبارك وتعالىٰ.

ولهذا انظروا إلىٰ أحوالنا اليوم! لما كثر انغماسنا في ملاذِّ الحياة الدنيا كيف ركنَّا إليها، وكرهنا البعد عنها؛ فعطلنا الجهاد في سبيل الله، وكرهنا لقاء الأعداء لنصرة دين الله تعالىٰ، ورضينا بالدُّون والمهانة؛ فأصبحنا أذل الأمم اليوم، ولن يعود إلينا عزنا، ومكانتنا إلا بالرجوع إلىٰ الله من قريب، وبيع النفوس له تبارك وتعالىٰ؛ عندها فقط حَدِّثْ -ولا حرج- عن عز عظيم للمؤمنين، وخزي مبين لأعداء هذا الدين.

ولهذا قال النبي ﷺ فيما يرويه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه شيء حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**»(١).

الجهاد أنواع ودرجات، وفي كل خير:

ولا ننسىٰ ونحن نذكر ونسرد الأدلة في أهمية الجهاد بالسِّنان أن نتذكر ونشيد بجهاد اللسان بالعلم الشرعي والصدع به وبثه وتعليمه، فقد قال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه أبو داود من رواية نافع عنه وفي إسناده مقال ولأحمد نحوه من رواية عطاءٍ ورجاله ثقات وصححه ابن القطان. والحديث وإن كان فيه ضعف إلا أن معناه صحيح وله شواهد كثيرة، لاسيما فيما يتعلق بخطورة الركون إلىٰ الدنيا والزهد في الآخرة وقد تقدم طرف منها.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥٢].

قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: «فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا حتىٰ ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعًا وكرهًا، وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس قوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ قال: بالقرآن».اهـ.

وقد سمىٰ الله تعالىٰ تعلم العلم وتعليمه ونشره وبثه جهادًا ونفيرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

ولهذا فللعلم وأهله سهم من الزكاة، وهذا مذهب جماعات من أهل العلم؛ إذ هم من جملة النافرين في سبيل الله أصالة.

وقد جاء التصريح بأن طالب العلم في سبيل الله -ولكن الحديث ضعيف- وهو ما أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتىٰ يرجع**». قال أبو عيسىٰ الترمذي: هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه.

بل إن تفريغ طلاب العلم والإنفاق علىٰ العلماء من آكد الأمور ومن أعظم أسباب الرزق، كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أنس بن



مالك قال: كان أخوان علىٰ عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبيَّ ﷺ والآخر يحترف فشكىٰ المحترف أخاه إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: «**لعلك ترزق به**». قال أبو عيسىٰ الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومهمة وأهمية العلماء في الأمة لا ينكرها إلا جاهل مفتون، أو ضال ظالم لنفسه، فهم الذين أشهدهم الله تعالىٰ علىٰ أعظم شهادة، فقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

واكتفىٰ بإيمانهم، فقال جل من قائل عليمًا: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

ورفع مكانتهم فقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وأثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ فهمهم ومعرفتهم وفراستهم، فقال تعالىٰ كما في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا

يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

وأحال عليهم لمعرفة وتعلم شرعه جل وعلا، فقال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦].

وبين أنهم هم حفاظ شرعه، فقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

[العنكبوت: ٤٩].

بل وأمر بسؤالهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[النحل: ٤٣، ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧].

فعليهم واجب عظيم وجهاد كبير ببيان الحق والصدع به والقيام به حق القيام، فهم علىٰ ثغرة عظيمة ولا قوام للأمة بدونهم.

فاللهَ اللهَ أن يؤتىٰ الإسلامُ من قِبلكم معاشر العلماء!.

وكما أنهم هم ورثة الأنبياء في الدنيا، وهم أهل الفتوىٰ وبيان الأحكام في هذه الحياة الدنيا فكلمتهم هي النافذة في ذلك عند سائر عباد الله المتقين، فهم كذلك المتكلمون يوم القيامة، فهم الذين يؤذَنُ لهم بالكلام يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم، يوم لا تسمع إلا همسًا، كما قال تعالىٰ:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧].

فهم أهل جهاد العلم، وإقامة الحجة وتبليغ الدين، وهم المنافحون عن دين الله وكتبه ورسله.

وهم أهل الحل والعقد في الأمة أصالة، وهو أُلُوا الأمر حقيقة، وهم الذين يستنبطونه من هذه الأمة، فتكون نجاة الأمة بإذن الله تعالىٰ بهم، وإلا لاتبعوا الشيطان إلا قليلا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

حتىٰ قال الحسن البصري: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء». وروي مرفوعًا ولا يصح، بل هو إلىٰ الوضع أقرب إن لم يكن كذلك.

حتىٰ قال ابن القيم في كتابه «الفروسية» في كلام نفيس له عن جهاد الجلاد وجهاد الجدال، قال: «فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي والطعان، فالفروسية فروسيتان فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي

والطعان، ولما كان أصحاب النبي ﷺ أكمل الخَلق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان والبلاد بالسيف والسنان.

وما الناس إلا هؤلاء الفريقان ومن عداهما فإن لم يكن ردءًا وعونًا لهما فهو كَلٌّ علىٰ نوع الإنسان.

وقد أمر الله ﷻ رسولَهُ بجدال الكفار والمنافقين وجلاد أعدائه المشاقين والمحاربين؛ فعِلْمُ الجدال والجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد، ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء، والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين، وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما». اهـ.

وأخرج ابن عبد البر في «فضل العلم» عن إبراهيم النخعي قال: «يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه يوم القيامة فيخف فيجاء بشيء أمثال الغمام فيوضع في كفة ميزانه فترجح فيقال له: أتدري ما هذا؟، فيقول: لا. فيقال له: هذا فضل العلم الذي كنت تعلِّمه الناس».

وأخرج ابن المبارك في «الزهد» عن حماد بن أبي سليمان قال: «يجيء رجل يوم القيامة فيرىٰ عمله محتقرًا فبينما هو كذلك إذ جاءه مثل السحاب حتىٰ يقع في ميراثه فيقال: هذا ما كنتَ تعلِّم الناس من الخير فورث بعدك فأجرت فيه».

واقرأ أخي -بارك الله فيك- هذه القصة العجيبة، لتعرف طرفًا مما كان عليه سلف هذه الأمة الأخيار الأطهار، لتعرف السِّرَّ وراء عزهم وذلنا، وتقدمهم وتأخرنا، واجتماعهم وفرقتنا، وهيبتهم وتبذلنا.

روىٰ الدارمي أبو محمد في «مسنده»: «أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن عمر بن الكميت قال: حدثنا علي بن وهب الهمداني قال: أخبرنا الضحاك بن موسىٰ قال: مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة، وهو يريد مكة فأقام بها أيامًا فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدًا من أصحاب النبي؟، قالوا له: أبو حازم.

فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم، ما هذا الجفاء؟، قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين، وأي جفاء رأيت مني؟، قال: أتاني وجوه أهل المدينة، ولم تأتني؟!، قال: يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك. قال: فالتفت إلىٰ محمد بن شهاب الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت.

قال سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟، قال: لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا؛ فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلىٰ الخراب، قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غدًا علىٰ الله تعالىٰ؟، قال: أما المحسن فكالغائب يقدم علىٰ أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم علىٰ مولاه؛ فبكىٰ سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟، قال: اعرض عملك علىٰ كتاب الله. قال: وأي مكان أجده؟، قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟، قال أبو حازم: رحمة الله قريب من المحسنين.

قال له سليمان: يا أبا حازم فأي عباد الله أكرم؟، قال: أولو المروءة والنهىٰ.

قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل؟، قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟، قال: دعاء المحسن إليه للمحسن.

فقال: أي الصدقة أفضل؟، قال: للسائل البائس، وجهد المقل ليس فيها منٌّ ولا أذىٰ.

قال: فأي القول أعدل؟، قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه.

قال: فأي المؤمنين أكيس؟، قال: رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها.

قال: فأي المؤمنين أحمق؟، قال: رجل انحط في هوىٰ أخيه وهو ظالم؛ فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: أصبت، فما قولك فيما نحن فيه؟، قال: يا أمير المؤمنين، أو تعفيني؟.

قال له سليمان: لا ولكن نصيحة تلقيها إلي، قال: يا أمير المؤمنين، إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا المُلْك عنوة علىٰ غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم؛ حتىٰ قتلوا منهم مقتلةً عظيمةً، فقد ارتحلوا عنها، فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم؟!، فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم، قال أبو حازم: كذبت إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه



للناس ولا يكتمونه.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟، قال: تَدَعُون الصَّلَف، وتتمسكون بالمروءة، وتقسمون بالسوية.

قال له سليمان: فكيف لنا بالمأخذ به؟، قال أبو حازم: تأخذه من حله، وتضعه في أهله.

قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا، ونصيب منك. قال: أعوذ بالله.

قال له سليمان: ولم ذاك؟، قال: أخشىٰ أن أركن إليكم شيئًا قليلًا؛ فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات.

قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك، قال: تنجيني من النار، وتدخلني الجنة.

قال له سليمان: ليس ذاك إلي، قال أبو حازم: فما لي إليك حاجة غيرها، قال فادع لي: قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلىٰ ما تحب وترضىٰ.

قال له سليمان: قط؟، قال أبو حازم: قد أوجزت، وأكثرت، إن كنت من أهله، وإن لم تكن من أهله، فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر.

قال له سليمان: أوصني قال: سأوصيك وأوجز: عظِّمْ ربك، ونزهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه أن أنفقها، ولك

عندي مثلها كثير، قال: فَرَدَّها عليه، وكتب إليه: يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلًا، أو ردي عليك بذلًا، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي؟، إن موسىٰ بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليه رعاء يسقون، ووجد من دونهم جاريتين تذودان فسألهما، فقالتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤] وذلك أنه كان جائعًا خائفًا لا يأمن، فسأل ربه، ولم يسأل الناس، فلم يفطن الرعاء، وفطنت الجاريتان؛ فلما رجعتا إلىٰ أبيهما أخبرتاه بالقصة، وبقوله، فقال: أبوهما وهو شعيب هذا رجل جائع فقالت: إحداهما اذهبي فادعيه فلما أتته عظمته، وغطت وجهها، وقالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا؛ فشق علىٰ موسىٰ حين ذكرت (أجر ما سقيت لنا)، ولم يجد بدًّا من أن يتبعها؛ لأنه كان بين الجبال جائعًا مستوحشًا، فلما تبعها؛ هبت الريح، فجعلت تصفق ثيابها علىٰ ظهرها، فتصف له عَجِيزتها، وكانت ذات عجز، وجعل موسىٰ يعرض مرة، ويغض أخرىٰ، فلما عيل صبره؛ ناداها: يا أمة الله كوني خلفي، وأريني السمت بقولك.

فلما دخل علىٰ شعيب إذ هو بالعشاء مهيأً، فقال له شعيب: اجلس يا شاب؛ فتعشىٰ، فقال له موسىٰ عليه السلام: أعوذ بالله فقال له شعيب: لم؟، أما أنت جائع؟، قال: بلىٰ، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضًا لما سقيتُ لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من ديننا بملء الأرض ذهبًا، فقال له شعيب:



لا، يا شاب، ولكنها عادتي، وعادة آبائي نقري الضيف، ونطعم الطعام؛ فجلس موسىٰ فأكل، فإن كانت هذه المائة دينار عوضًا لما حدثت فالميتة». اهـ. أي: فالموت خير لي من أن أقبلها منك.

قال القرطبي: «قلت: هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والأنبياء. انظروا إلىٰ هذا الإمام الفاضل، والحبر العالم كيف لم يأخذ علىٰ عمله عوضًا، ولا علىٰ وصيته بدلًا، ولا علىٰ نصيحته قصدًا، بل بين الحق وصدع، ولم يلحقه في ذلك خوفٌ، ولا فزع. قال رسول الله ﷺ: «**لا يمنعن أحدكم هيبة أحد أن يقول بالحق حيث كان**»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه عند أحمد: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يتكلم بحق إذا رآه أو شهده أو سمعه**» فقال أبو سعيد: وددت أني لم أكن سمعته، وقال أبو نضرة: وددت أني لم أكن سمعته. اهـ. وظاهر إسناده الصحة وله شواهد، إلا أن الرجح إعلاله، فقد رواه سليمان التيمي، وأبو مسلمة سعيد بن يزيد، والمستمر، وسعيد الجريري، وقتادة بن دعامة عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ به، وقد صرح سليمان التيمي، وقتادة بالسماع كما عند أحمد في المسند. بينما رواه الأعمش، وزبيد اليامي عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، ولكن قال أبو داود السجستاني: أبو البختري لم يسمع من أبي سعيد. ذكره في «السنن»، وقال أبو حاتم الرازي: والبختري الطائي لم يدرك أبا سعيد الخدري. ذكره في «المراسيل» لابن أبي حاتم. وقال الدارقطني في العلل: يرويه عمرو بن مرة، عن أبي البختري، واختلف عنه؛ فرواه زبيد =

وفي التنزيل ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾». اهـ.

وما أحسن ما قاله الإمام ابن حزم لما سئل عن أمنيته فارتجل قائلًا:

مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا علُومٌ أَبُثُّهَا ... وأَنْشُرُهَا فِي كلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ

دُعاءٌ إلىٰ القُرْآنِ والسُّنَنِ الَّتي ... تَنَاسىٰ رِجَالٌ ذِكْرَهَا فِي المحَاضِرِ

وَألزمُ أطرافَ الثُّغُورِ مُجَاهِدًا ... إذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فأَوَّلُ نَافِرِ

لأَلْقَىٰ حِمَامِي مُقْبِلًا غَيرَ مُدْبِرٍ ... بِسُمْرِ العَوَالي والرِّقَاقِ البَوَاتِرِ

كِفَاحًا مَعَ الكُفَّارِ فِي حَوْمَةِ الوَغَيَ ... وَأكْرَمُ مَوْتٍ لِلْفَتَىٰ قَتْلُ كَافِرِ

فَيَا ربِّ لا تَجْعَلْ حِمَامِي بِغَيْرِهَا ... وَلَا تَجْعَلَنِّي مِن قَطِينِ المقَابِرِ

وهناك جهاد المال، وهو من أعظم الجهاد في سبيل الله والآيات فيه والأحاديث كذلك متكاثرة جدًّا، فمن ذلك قوله تبارك وتعالىٰ:

= اليامي، وعمرو بن قيس الملائي، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي سعيد. وخالفهما شعبة، فرواه عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن رجل لم يسمه عن أبي سعيد. وقال يزيد بن سنان: عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن مسفعة، عن أبي سعيد. ومسفعة لا يعرف، ولعله أراد أن يقول، عمن سمع أبا سعيد. والقول قول شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن رجل لم يسمه، عن أبي سعيد.

ويشهد له ما أخرجه النسائي في المجتبىٰ وهو صحيح عنده عن طارق بن شهاب أن رجلا سأل النبي ﷺ، وقد وَضَعَ رِجْلَهُ في الغَرْزِ: أي الجهاد أفضل؟ قال: «**كلمة حق عند سلطان جائر**».



﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠]، وقال: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٦]، وقال: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥].

وفي «الصحيحين» عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**».

وفي «الصحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ لِرَجُلٍ أَجْرٌ وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَىٰ رَجُلٍ وِزْرٌ فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ، أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ**

كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ فَهْيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا، وَلَا ظُهُورِهَا فَهْيَ لَهُ سِتْرٌ وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً وَنِوَاءً فَهْيَ عَلَىٰ ذَلِكَ وِزْرٌ..» الحديث.

وأيًّا ما كان من هذه الأنواع الثلاثة: جهاد العلم، وجهاد السنان، وجهاد المال، فالمرء علىٰ خير عظيم، المهم ألا نكون من القاعدين عن نصرة هذا الدين.

فأَقْبلُوا عباد علىٰ سلعة الله فإنها غالية، إن سلعة الله الجنة فيا سعادة الفائزين بها وياخيبة وخسران المحرومين منها!

قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة ... بل أنت غالية علىٰ الكسلانِ

يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلا واحد لا اثنانِ

فلا تكونوا كأهل الكتاب، الذين يحرصون كل الحرص علىٰ الحياة، حتىٰ ولو كانت ذليلة، حتىٰ ولو عاش مهانًا فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦]، هكذا بصيغة النكرة ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ أيًّا كانت هذه الحياة، المهم أن يعيش؛ أما المؤمن فلسان حاله يقول:

فإمـــا حيـــاة تســـرُّ الصَّـــديق   وإمـــا ممـــات يغـــيظُ العِـــدَا

فاللهم حرمنا ووالدينا، وإخواننا، وذرارينا، وأزواجنا، ومشايخنا، وأحبابنا علىٰ النار، وأدخلنا الجنة برحمتك يا عزيز يا غفار.

تاسعًا
نماذج من مواقف العز والبطولة

الموقف الأول:

عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثةٌ أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم! هل تعرف أبا جهل؟، قال: قلت: نعم. وما حاجتك إليه يا بن أخي؟، قال: أُخْبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتىٰ يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك. فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشب أن نظرت إلىٰ أبي جهل يزول في الناس. فقلت: ألا تَرَيان؟، هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما، حتىٰ قتلاه. ثم انصرفا إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبراه. فقال: «**أيكما قتله**»، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: «**هل مسحتما سيفيكما**»، قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «**كلاكما قتله**»، وقضىٰ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. والرجلان: معاذ بن عمر بن الجموح ومعاذ بن عفراء[1].

---

(١) متفق عليه.



الموقف الثاني:

ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة (عبد الله بن حذافة السهمي) أحد الصحابة: «أنه أَسَرَتْهُ الروم، فجاءوا به إلىٰ ملكهم، فقال له: تَنَصَّرْ، وَأَنَا أُشْرِكُكَ في ملكي، وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملكه العرب علىٰ أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فقال: إذن أقتُلَك، فقال: أنت وذاك، قال: فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبًا من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبىٰ، ثم أمر به، فأنزل، ثم أمر بقدر من نحاس، فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين، فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه، فأبىٰ، فأمر به أن يلقىٰ فيها، فرفع في البكرة؛ ليلقىٰ فيها، فبكىٰ، فطمع فيه، ودعاه، فقال: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقىٰ في هذه القِدْر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.

وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أيامًا، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟.

فقال: أما إنه قد حلَّ لي، ولكن لم أكن لأُشْمِتَكَ بي، فقال له الملك: فقبِّلْ رأسي، وأنا أطلقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارىٰ المسلمين، قال: نعم، فَقَبَّلَ رأسه، فأطلقه، وأطلق معه جميع أسارىٰ

المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حق على كل مسلم أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا».

الموقف الثالث:

قال محمد بن إسحاق، عن كعب الأحبار: «أنه ذكر له (حبيب ابن زيد) الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة، حين جعل يسأل عن رسول الله ﷺ، فجعل يقول له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟، فيقول: نعم، ثم يقول:أتشهد أني رسول الله، فيقول: لا أسمع، فيقول له مسيلمة -لعنه الله-: أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟، فيقول: نعم، فجعل يقطِّعه عضوًا عضوًا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه، فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب: وكان والله صاحب يس اسمه حبيب».

الموقف الرابع:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -والمحفوظ أنه من قول مجاهد- قال: «ثم كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ، فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أبي طالب، وأما أبو بكر، فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم، فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول:



أحد أحد»[1].

وفي «سير أعلام النبلاء»: من طريق محمد بن خالد الطحان أنبأنا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والبيهقي، والحاكم، وصححه، وابن حبان في «صحيحه».

ولكن جاء في المسند المصنف المعلل: «قال الدوري: سمعت يحيىٰ، يعني ابن معين، يقول: حدث يحيىٰ بن أبي بكير، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة.

قال يحيىٰ: هذا عن منصور، عن مجاهد، هكذا حدث به الناس. «تاريخه» (١٥٢٩).

وقال الدوري: سمعت يحيىٰ، يعني ابن معين، يقول: الحديث الذي يرويه ابن أبي بكير، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله؛ في قصة عمار، إنما يرويه سفيان، عن منصور، عن مجاهد فقط.

قال أبو الفضل الدوري: قصة عمار؛ أول من أظهر إسلامه سبعة.

قال أبو الفضل: هذا باطل، إنما هو من رأي مجاهد. «تاريخه» (٢٣٩٣).

وقال العجلي: كان يخطئ في هذا الحديث، يحيىٰ بن أبي بكير يقول: عن زائدة، عن عاصم، عن زر، وإنما رواه الناس عن منصور عن مجاهد. «معرفة الثقات» (٢/ ٣٤٨).

وقال البزار: هذا الحديث لا نعلم رواه عن زائدة، موصولا، إلا يحيىٰ بن أبي بكير. «مسنده» (١٨٤٥).

وقال الدارقطني: يرويه يحيىٰ بن أبي بكير، عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله. تفرد به يحيىٰ بن أبي بكير، ويقال: إنه وهم، وإنما رواه زائدة، عن منصور، عن مجاهد قوله. «العلل» (٧٠٨)» ا.هـ.

أبي، عن داود، عن الشعبي، قال: «كان موالي بلال يضجعونه علىٰ بطنه، ويعصرونه، ويقولون: دينك اللات والعزىٰ، فيقول: ربي الله أحد أحد، ولو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها. فمر أبو بكر بهم فقالوا: اشتر أخاك في دينك، فاشتراه بأربعين أوقية، فأعتقه، فقالوا: لو أبىٰ إلا أوقية، لبعناه، فقال: وأقسم بالله لو أبيتم إلا بكذا وكذا لاشتريته»(١).

الموقف الخامس:

عن صهيب الرومي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه، وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتىٰ الساحر، مر بالراهب، وقعد إليه فإذا أتىٰ الساحر، ضربه، فشكا ذلك إلىٰ الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر.**

فبينما هو كذلك؛ إذ أتىٰ علىٰ دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجرًا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة؛ حتىٰ يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضىٰ الناس، فأتىٰ الراهب فأخبره، فقال له الراهب:

---

(١) هذا سند منقطع، وهو من مراسيل الشعبي، ولكن ما زال السلف يتسمحون في أسانيد التاريخ والسير ما لم يكن ثمة أمر منكر.



أي بني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرىٰ، وإنك ستبتلىٰ، فإن ابتليت، فلا تدل عليَّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله، فأتىٰ الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رَدَّ عليك بصرك، قال: ربي، قال: ولك رب غيري، قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتىٰ دل علىٰ الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتىٰ دل علىٰ الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبىٰ، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار علىٰ مفرق رأسه فشقه حتىٰ وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبىٰ، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتىٰ وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبىٰ، فدفعه إلىٰ نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلىٰ جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي

إلىٰ الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلىٰ نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلىٰ الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتىٰ تفعل ما آمرك به. قال: وما هو، قال: تجمع الناس في صعيد واحد. وتصلُبني علىٰ جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس. ثم قل: باسم الله رب الغلام. ثم ارمني؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه علىٰ جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات؛ فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرك؛ قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتىٰ جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه! اصبري؛ فإنك علىٰ الحق»(١).

---

(١) أخرجه مسلم.

الموقف السادس:

صدق عُمَيْرِ بْنِ الْحُمَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما في صحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَىٰ بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا**». فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا**». فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**». فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**». قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟، قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**». قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ - قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ.

الموقف السابع:

ما جرىٰ في صلح الحديبة من قوة النبي ﷺ، وثباته أمام إغراءات الباطل، وموقف الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في إعلان التفاني في حماية النبي ﷺ،

والموت دونه ﷺ، ومَظْهَر الصحابة رضي الله عنهم حول النبي ﷺ وبين يديه، مما أذهل عروة بن مسعود مبعوث المشركين، وفَتَّ في عضده، كما في «صحيح البخاري» من حديث عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، في الخبر الطويل وفيه، قالا: «فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟، قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟، قَالُوا بَلَىٰ، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟، قَالُوا: لَا، قَالَ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي؟، قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا، وَدَعُونِي آتِهِ، قَالُوا: ائْتِهِ، فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَىٰ: **فَإِنِّي وَاللهِ لأَرَىٰ وُجُوهًا وَإِنِّي لأَرَىٰ أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟!.** فَقَالَ: مَنْ ذَا؟!. قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، **فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ، وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلَّمَا أَهْوَىٰ عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَىٰ لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟، قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ أَلَسْتُ أَسْعَىٰ فِي غَدْرَتِكَ،

وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ**».

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: «**فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَىٰ الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَىٰ قَيْصَرَ وَكِسْرَىٰ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا**... الحديث».

الموقف الثامن:

التحسر علىٰ فوات حظ من العلم الشرعي ولو كان شيئًا يسيرًا، كما في «الصحيحين» من طريق عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَنَّ أَبَا مُوسَىٰ الأَشْعَرِيَّ اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَىٰ، فَفَرَغَ عُمَرُ، فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ؟، ائْذَنُوا لَهُ، قِيلَ: قَدْ رَجَعَ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَانْطَلَقَ إِلَىٰ مَجْلِسِ الأَنْصَارِ، فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ لَكَ عَلَىٰ هَذَا إِلَّا

أَصْغَرُنَا، أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، فَذَهَبَ بِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَخَفِيَ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ» يَعْنِي: الْخُرُوجَ إِلَىٰ تِجَارَةٍ.

وفي «الصحيحين» عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهْيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، **وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ**، فَنَزَلَ صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، فَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: لَا أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ قَالَ: «**لا**»، فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ.

الموقف التاسع:

التَّفاني في طلب العلم وتقديم التنازلات الدنيوية لأجل نيله وتحصليه، والرحلة في ذلك وطلبه من أهله ومَظَانِّه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ

مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠ - ٧٠].

وفي «الصحيحين» والسياق لمسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا: «**أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَىٰ صَدْرِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ**». فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَىٰ صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ، وَلَوْلَا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الآيَتَيْنِ.

وفي «صحيح البخاري» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ**، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «**مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟، فَقَالَ: «**وَاثْنَيْنِ**».

وفي «صحيح مسلم»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، **لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**».

الله أكبر الله أكبر! هكذا تكون العزة، وهكذا يكون الرجال، وهكذا يكون الثبات علىٰ المبادئ، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ملحق مهم متعلق بأصل الدين

[اعرف أصل دينك واسأل عنه أهلك وذريتك ومَن حولك، وتأكد منه وتفقدهم فيه وعنده]

تَعَلَّمنا وعلمنا أهلينا وأولادنا الوضوءَ ونواقضه والصلاة ومبطلاتها والصيام ومفسداته والحج ومحبطاته.

فهل نسينا أن نعلمهم العقيدة ومبطلاتها ونواقض الإسلام ومعنى الطاغوت وحقيقة الكفر به وتحقيقه.

ألـم نعلم بأن الله تعالى لن يقبل صلاة ولا زكاة ولا صياما ولا حجا ولا برا ولا إحسانا ولا عبادة بل ولا إيمانا حتى نحقق الكفر بالطاغوت؟

ألا تعلم بأن الكفر بالطاغوت عِلْمٌ يلزم تعَلُّمُه لنكون مؤمنين عند الله تعالى حقا وليقبل الله إيماننا؟

ألا تعلم أن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت متلازمان لا يقبل الله أحدهما دون الآخر؟

سؤالان مهمان:

كيف سنكفر بالطاغوت ونحن لا نعرف ما هو الطاغوت وما هي أنواعه

وما هو الطاغوت الماثل في حياتنا اليوم؟

وكيف سنحقق الإيمان ونحن لا نعرف نواقضه ومبطلاته وما هو الموجود من ذلك في حياتنا الماثلة اليوم من حولنا؟

واعلم رحمك الله أن الحذر والتحذير من انتقاض أصل الدين هو دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ولهذا لم يبدؤوا بشيء قبل أصل الدين مطلقا ولم يقدموا عليه شيئا مهما كانت أهميته.

كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة النحل ٣٦].

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرٰهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُۜ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَاۚ وَاِنَّهُ فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُٓ اَسْلِمْۙ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَوَصّٰى بِهَٓا اِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُۜ يَا بَنِىَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَۜ ۝ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَٓاءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُۙ اِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ



بَعْدِىْ قَالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَاحِدًاۚ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [سورة البقرة ١٣٠ - ١٣٣].

وقال تعالى:

(لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَىِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [سورة البقرة ٢٥٦].

ولكي لا يعتذر أحد بأن هذا متعلق بقدرات الأنبياء والمرسلين وعلو همتهم ضرب الله تعالى المثال بعبد من عباده لا هو بنبي ولا رسول ووصفه بالحكمة وأنه آتاه الحكمة ألا وهو لقمان الحكيم الذي كان أول ما أمر به ابنه المحافظة على أصل الدين والحذر من نواقضه.

كما قال تعالى:

وَلَقَدْ اٰتَيْنَا لُقْمٰنَ الْحِكْمَةَ اَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَاِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۚ وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝ وَاِذْ قَالَ لُقْمٰنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[سورة لقمان ١٢ - ١٣].

إذا لا إله إلا الله علم يتعلم وعمل يتنزل في الواقع لينتظم الحياة كلها يلتزم به كمنهج راسخ لا محيد عنه قيد أنملة فلا يقبل أنصاف الحلول ولا

المجاملات على حساب الدين بلوازمها ومقتضياتها وضوابطها ، وتعلم لنواقضها ليجتنبها ويتقيها ويحذر منها نفسه ومن يعول ومن حوله.

ألا نعلم أن الله تعالى قد نفى الإيمان عن أقوام تسموا به وزعموه وادعوه؟

ألـم يقرر الله تبارك وتعالى أنه لـن يقبل من العبد إيمانا يحدد فيه العبدُ معالمَه بهواه لا بهدى الله؟

إذا علينا أن نجد ونجتهد وأن نبحث عن المواضع التي ذكر الله تعالى فيها أقواما زعموا الإيمان ثم نفاه الله تعالى عنهم حتى لا نخادع أنفسنا ونخدع ذريتنا ورعيتنا.

وإليك هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر:

قال الله تعالى:(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) [سورة البقرة ٨].

وقال تعالى:(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [سورة يوسف ١٠٣].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ



يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [سورة المائدة ٤١].

وقال تعالى:(وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) [سورة المائدة ٦١].

وقال سبحانه:(وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ إِنَّمَاإِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة النور ٤٧ - ٥١].

وقال جَلَّجَلَالُهُ :(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [سورة الحجرات ١٤ - ١٥].

وقال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً [سورة النساء ٦٠ – ٦١].

ونحو ذلك في كتاب الله تعالى وكذلك نسأل عما في سنة نبينا ﷺ مما يتعلق بذلك.

وكما أننا لا نكفر عبدا بذنب ارتكبه ما لم يبلغ حد الكفر والشرك والنفاق الأكبر حتى يستحله أو يجحد حكمه ، فكذلك لابد أن نحذر من الذنوب التي تحبط العمل وتنقل العبد من الإيمان إلى الشرك والكفر المخرج عن الملة.

والآن فلنبدأ :

تعريفات مهمة:

نواقض الإسلام: في الجملة هي الشرك والكفر والنفاق الأكبر بكل أنواعه ، وكذلك الطاغوت.

الشرك والكفر : هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

الطاغوت: هو اسم جامع لكل ما ينقض الإسلام ، وقيل هو كل ما

تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

أنواع الطواغيت:

إِبْلِيسُ لَعَنَهُ الله، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ شرع من دون الله تحليلا أو تحريما أو تبديلا لحكم الله ومن حكم بالشرع الجاهلي وقضى به وفض النزاعات به بين الناس ومن حمى الشرع الجاهلي وروج له ونشره ومَكَّنَ له.

وكما تقدم فمن المهم جدا أن تعرف طاغوت زمانك لتعامله بما هو مأمور به شرعا بحسب وسعك ، وأن تسأل عنه العلماء الربانيين لا علماء السلاطين ولا المتأكلين بدينهم ولا المطبلين للطواغيت ولا الذين يقدمون سلامة الدنيا على الدين ولا المرقعين والمبررين في هذا الأصل العظيم.

كيف يكون الكفر بالطاغوت: بمعرفته والحذر منه والتحذير منه وبغضه واعتزاله ومحاربته والسعي في اجتثاثه والعمل ضده.

النواقض على التفصيل:

١-عبادة الشيطان بطاعته في الكفر والشرك والنفاق الأكبر (شرك الطاعة).

٢-ارتكاب الكفر والشرك والنفاق الأكبر وهو يعلم غير مكره ولا مخطىء.

٣-القضاء والحكم بالكفر والشرك.

٤-فض النزاعات بالكفر والشرك (القوانين الوضعية والدساتير الجاهلية.

٥-الرضا بالكفر والشرك قولا أو عملا أو اعتقادا.

٦-الطاعة في الكفر والشرك.

٧-تنصيب أنداد لله تعالى يتصرفون في الخلق أو الأمر مِن السلاطين ورؤوس العشائر والقضاة والعلماء والصالحين والشعوب.

٨- التجسس على المؤمنين لصالح الكافرين حتى تكون كلمة الذين كفروا العليا ، أو يكون تجسسه سببا لوقوع ذلك.

٩-مولاة مَن كره شرع الله بنصرته وطاعته ولو بالقول ومولاته في ذلك ولو في بعض الأمر مما كره.

١٠-التسخط على شرع الله بالقول أو العمل أو الاعتقاد.

١١-عدم الرضا بحكم الله ورسوله.

١٢-لبس الحق بالباطل بقصد الصد عن الإسلام.

١٣-الكذب على الله ورسوله والقول بغير علم ليضل الناس.

١٤-مخادعة الله ورسوله ، والله خادعهم.

١٥-زعم الإيمان بالله ورسوله مع النكول وترك العمل بشرائع الإسلام.

١٦-القول بأن الإيمان هو مجرد المعرفة أو مجرد التصديق وإن لم يعمل به.

١٧-القول بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولو كان كفرا أو شركا أكبر.

١٨-ادعاء العصمة للحكام من الكفر ولو وقعوا فيه وأن ولايتهم مع ذلك تامة معقودة صحيحة.

١٩-القول بالتحريم المطلق للخروج على الحاكم الكافر والمرتد ولو وجدت الشوكة القادرة الضاربة.

٢٠-التلاعب بأسماء الله تعالى وصفاته جحدا أو ردا أو تحريفا للمعاني عن حقيقتها.

٢١-نفي علو الله تعالى ونفي استوائه تبارك وتعالى على عرشه.

٢٢-القول بأن الله في كل مكان.

٢٣-الكفر بشيء من أسماء الله تعالى وصفاته.

٢٤-الكفر بالملائكة كلا أو بعضا.

٢٥-الكفر بالكتب المنزلة لا المحرفة كلا أو بعضا.

٢٦-الكفر بالأنبياء والرسل كلا أو بعضا.

٢٧-الكفر باليوم الآخر أو البعث أو الجزاء أو النشور أو الجنة أو النار أو الثواب أو العقاب.

٢٨-نفي علم الله السابق بأعمال عباده.

٢٩-نفي كتابة الله تعالى للمقادير قبل أن يخلق الخلق.

٣٠-نفي خلق الله تعالى لأفعال عباده.

٣١-نفي مشيئة الله تعالى السابقة النافذه.

٣٢-جعل ما قدره الله من الشر محبوبا لله تعالى مأمورا به شرعا.

٣٣-نسبة الظلم لله تبارك وتعالى.

٣٤-تكذيب الأخبار الصحاح بعد ثبوتها عنده بالعقل والرأي والهوى.

٣٥-استحلال المحرمات أو تحريم الحلال بالقول أو العمل أو الاعتقاد.

٣٦-الموالاة التي تجعل كلمة الذين كفروا العليا.

٣٧-مودة الكفار المحادين لله تعالى ولرسوله ﷺ.

٣٨-القول بنجاة غير المسلمين في الآخرة أو الحكم لهم بالشهادة أو بالجنة أو بالرحمة والمغفرة.

٣٩-القول بأخوة الدين بين الكافر والمسلم.

٤٠-الغاء الفوارق الشرعية بين الكفار والمسلمين وجعل الحكم للإنسانية والوطنية والجنسية والقبلية.

٤١-إلغاء الفوارق الشرعية بين الذكر الأنثى والتسوية بينهما في ذلك.

٤٢-كفالة الحريات التي حرمها الشرع أو تقنينها أو تنزيلها أو حمايتها بعد إقرارها لكون القانون الجاهلي قد كفلها.

٤٣-جعل السيادة والريادة للقانون الجاهلي.

٤٤-احترام وتوقير القانون والدستور الجاهلي.

٤٥-القيام والاحترام والتوقير والتقدير لشعائر الجاهلية وخصائصها.

٤٦-تشريع الأعياد والمواسم الطاغوتية والجاهلية.

٤٧-الشك أو التشكيك في وعد الله ووعيده.

٤٨-الشك أو التشكيك في الرسول ﷺ وهديه أو خُلقه أو دعوته.

٤٩-الطعن في الرسول ﷺ وهديه أو خلقه أو دعوته.

٥٠-تكفير عموم الصحابة رضي الله عنهم أو غالبهم.

٥١-تكفير من شهدت الأدلة الصحيحة الصريحة له بالجنة والشهادة.

٥٢-الطعن في براءة المبرأة المطهرة المصونة العفيفة زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما.

٥٣-اتخاذ مطاف للناس من قبور ومشاهد وكعبة الرافضة ونحو ذلك كما هو فعل الله تعالى بالكعبة المكرمة المشرفة.

٥٤-ادعاء عدم صلاحية حكم الإسلام للعالم اليوم أو أي يوم سواء كان ذلك بالقول أو التقرير أو العمل والكتابة.

٥٥-الدعوة إلى العلمانية أو الدولة المدنية أو دولة المواطنة والإنسانية أو الديمقراطية الكافرة.

٥٦-وصف الإسلام بالأوصاف المنفرة عنه والمقبحة له.

٥٧-تفضيل الكفار على المسلمين وأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا.

٥٨-الامتناع عن تحكيم الشريعة.

٥٩-القتال لمنع تحكيم الشريعة.

٦٠-السعي والمشاركة في منع تحكيم الشريعة.

٦١-دعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى سواء من الأموات أو الأحياء حاضرين كانوا أو غائبين.

٦٢-الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى سواء من الأموات أو الأحياء حاضرين كانوا أو غائبين.

٦٣-النذر والذبح لغير الله تعالى تقربا.

٦٤-ادعاء شركاء مع الله في ملكه المطلق لما في السماوات والأرض.

٦٥-ادعاء أن لله تعالى ظهيرا أو معينا.

٦٦-ادعاء ملك أحد للشفاعة مع الله تعالى أو من دونه.

٦٧-من جعل بينه وبين الله تعالى وسائط يعبدهم ويدعوهم ويسألهم ليقربوه إلى الله زلفى.

٦٨-التوكل على غير الله تعالى.



٦٩-الردة عن الإسلام أو اتباع ملة أخرى.

٧٠-من لا يكفر من لم يدخل في الإسلام أصلا أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

٧١-من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

٧٢-من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر.

٧٣-تعاطي الكهانة وسحر الجن ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر وكذلك من صدقه.

٧٤- المظاهرة الشركية على المسلمين.

٧٥-من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر.

٧٦-الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

٧٧-نسبة الباطل لله تعالى أو لرسوله ﷺ.

٧٨-اتهام النبي ﷺ في صدقه أو عدله أو عفافه.

٧٩-حضور مجالس ومحافل ومجامع الطعن في الدين والكيد له والرضى بذلك ولو لم يشارك ، وكذلك إن شارك ولو كان كارها لذلك ولكن فعل ذلك لعرض الحياة الدنيا.

٨٠- الاستكبار على الله تعالى وشرعه وكتابه ورسله.

٨١-قتل الأنبياء والمرسلين ومقاتلتهم.

٨٢- قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس لعملهم بذلك.

٨٣-الفرح بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٨٤-الاشمئزاز عند ذكر توحيد الله تعالى والدعوة إلى التوحيد الخالص.

٨٥- الفرح والاستبشار عند ذكر الأنداد والشركاء.

٨٦-المحبة الشركية.

٨٧-إنكار استمرار الجهاد وبقائه وانتصار أهله وأن العاقبة للمتقين.

٨٨-الشك أو التشكيك في حفظ الله تعالى لكتابه وسنة نبيه ودينه.

٨٩-محاربة أو معاداة ملة إبراهيم القائمة على الولاء والبراء في الله والبراءة من الشرك وأهله.

٩٠-القول أو العمل بعقيدة الحلول والاتحاد بين الخالق تبارك وتعالى والمخلوق مهما كانت منزلته ولو بأقل شيء.

٩١-القول بخلق القرآن وأنه ليس كلام الله بل هو مخلوق.

٩٢-القول أو الاعتقاد أن النصر بيد أحد سوى الله تعالى كائنا من كان مهما بلغ من القوة والجبروت.



٩٣-القول أو الاعتقاد بأن ثمة مدبرين مع الله تعالى أو مستشارين.

٩٤-القول أو الاعتقاد بأن الخزائن عند غير الله تعالى.

٩٥-سب الله أو الدين أو الرسول.

٩٦-خوف السر وأن هناك من له القدرة على أن يضرك من دون الله تعالى.

٩٧-الرغبة الشركية وأن هناك من له القدرة على أن ينفعك من دون الله تعالى.

٩٨-القول أو الاعتقاد بأن هناك رزاقا مع الله تعالى أو من دونه.

٩٩-إنشاء الطاعات والقربات ابتغاء عرض الحياة الدنيا ابتداء وانتهاء ورياء وسمعة.

١٠٠- ترك الصلاة جحودا أو تكاسلا تركا كليا أو أغلبيا.

١٠١-ترك الزكاة مع القتال على تركها ومنعها.

١٠٢-جحد شيء مما ثبت من دين الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٠٣-ادعاء الرسالة والنبوة.

١٠٤-نسبة البداءة لله.

١٠٥-تجويز الحكم بغير الشريعة.

١٠٦-ادعاء إنزال مثل وحي الله.

١٠٧- القول بأن الدولة ومؤسساتها لا توصف بدين وإنما هذا خاص بالأفراد فيما بينهم وبين الله تعالى.

١٠٨- التجسس المؤمنين لصالح الكافرين حتى تكون كلمة الذين كفروا العليا ، أو يكون تجسسه سببا لوقوع ذلك.

١٠٩- قتال المطالبين بتطبيق الشريعة.

١١٠- الاستهزاء بالله أو رسوله أو شيء من دينه أو حملته ودعاته لأجل عملهم بذلك.

١١١-تفضيل الأولياء على الرسل والأنبياء وأنهم يمكن أن يكونوا أهدى سبيلا.

١١٢-ادعاء أن الدين فيه علم باطن يخالف علم الشريعة الظاهرة وأن علم الباطن هو الحق والمقدم.

١١٣- القول بأن فهم الصحابة للدين أقل مرتبة من فهم أصحاب علم الباطن وأهل الكلام وأن طريقة الباطنية والمتكلمين أعلم وأحكم وأهدى.



الخاتمة

معاشر المسلمين والمسلمات! إن الليل لابد أن يعقبه النهار، وإن مع العسر يسرًا، وإن الجولة القادمة هي جولة الإسلام الممكنة في الأرض بإذن الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

ولكن لابد لهذا الدين من رجال صادقين، ونساء صادقات؛ يحملون هَمَّ هذا الدين العظيم، ويرفعون شعاراته، ويطبقون تعاليمه علىٰ عز وشرف لا علىٰ استحياء وخجل وخوف وضعف وخور، ولكن هذا لن يتحقق حتىٰ نصدق الله تعالىٰ فيما عاهدناه عليه من الصدق واليقين والإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ ورفع الرأس شامخًا بذلك والعمل بجد لنصرة هذا الدين.

وما أحسن ما قال الشاعر:

الفجر الباسم قادم ... من قلب الليل الجاثم
وربيع الأمة آت ... من بعد شتاء قاتم
بشباب صلوا الفجرَا ... برجال باعوا العمرَا

بشـــيوخ كــــانوا شــــعلَا بالليـــــل تشــــع الفكــــرَا
ببنــــات طــــبن صـــــفاء عطـــــرًا طهـــــرًا وحيــــاءَ
بنســــاء عشــــن حيــــاة لله وكـــــــن ضـــــــياءَ
بصـــــغار عـــــرفوا الله بـــــالفطرة لا بســـــواهَا
وهـــم البـــشرىٰ للـــدنيا وغـــدًا يمحـــون أســـاها
بكتـــاب ظـــل دلـــيلًا للأمــــة جــــيلًا جــــيلَا
مـــن حيرتهـــا يهـــديها ويعيـــد المجـــد أصيـــلَا

فالله الله في بذل الجهد وإفراغ الوسع لنصرة دين الله تبارك وتعالىٰ وأبشروا وأملوا كل خير؛ فإن إرهاصات النصر قد لاحت في الأفق القريب بإذن الله العزيز الحميد، فاعملوا ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

تَهُـــون الحيـــاةُ وكـــلٌّ يَهُـــون ولكـــنَّ إسْـــلامَنا لا يَهُـــونُ

اللهم يا عزيز يا حميد يا جبار السموات والأرض! عليك بأعداء دينك أجمعين! اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين! وأرنا بهم ما تقر به عيون عبادك الموحدين! واجعلنا اللهم من أنصار دينك القويم وصراطك المستقيم! وقر عيوننا أجمعين بنصر مؤزرٍ للإسلام والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين! واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولأزواجنا وأبنائنا وإخواننا ومشائخنا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين ويا خير الغافرين! آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم الفراغ منه في (طبعته الثالثة) في سرر شهر شوال لعام ألف وأربعمائة وخمسة وأربعين للهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل وأزكى الصلاة والسلام.

وكتبه الفقير إلىٰ عفو ربه وإحسانه

أبو عبد الله

الصادق بن عبد الله الهاشمي

الفهرست



** قائمة كتب المؤلف **

• **صدر للمؤلف:**

١- التوسل المشروع وما يضاده.

٢- الاستنباطات البهية من الأدلة الشرعية.

٣- الدُّرَرُ والزُّهُور من حديث جبريل المشهور (أكثر من ٤٠٠ فائدة).

٤- المحبة الحقيقية للأزواج والذرية.

٥- الداء العضال.

٦- القول المبين في أخطاء بعض الحجاج والمعتمرين.

٧- يا أمة الإسلام الاستعلاء بالإيمان.

٨- رسائل رمضان إلىٰ أمة القرآن.

٩- الإنسان والأمانة الكبرىٰ.

١٠- المفاهيم والحقائق الغائبة.

١١- فتنة العصر (التشريع).

١٢- أجهزة الدمار الشامل.

١٣- الموسوعة الكبرىٰ (الجامع الثمين لأخطاء بعض المصلين والأئمة والمؤذنين والمساجد والمتهجدين).

١٤- إسعاف السَّؤُول بشرح ثلاثة الأصول.

١٥- الديمقراطية والإسلام ضدَّان لا يجتمعان.

- **كتب ستصدر قريبًا إن شاء الله تعالى:**

١- الحقوق العَلِيَّة لخير البرية ﷺ.

٢- الإجماعات السنية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣- الطائفة البرهانية في ميزان الإسلام.

٤- الأمراض الشائعة.

٥- الكيفيات المتعددات لصفات الوضوء والتيمم وغسل الجنابة والصلاة.

٦- الهوىٰ سر الهوان.

٧- فساد التَّصوُّر.

٨- المخرج من الفتن.

- **كتب تحت الإعداد:**

١- تفسير جزأي عَمَّ وتبارك.

٢- شرح العقيدة الواسطية.

٣- شرح علل النسائي.

٤- ما ضَعُفَ من الأحاديث والآثار في سيرة النبي المختار ﷺ.

٥- الكلمات الرَّضِيَّة في الخطب المِنبَرِيَّة.

٦- ما خالف الدليل من أخبار بني إسرائيل.

٧- الصراط المستقيم.

٨- الطريق إلىٰ السعادة.

٩- إنهم فتية آمنوا بربهم.

١٠- موزع الحسنات.